الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٣٦ — ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 136.

Lundi-10-2-1936

بدل الاشتراك عن سنة

صـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٣٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٤ — ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة		
٢٠١	تاريخ يثور	: أحمد حسن الزيات.. ... ...
٢٠٣	فى وقع الموت	: الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
٢٠٥	الوزير ابن كلس	: الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٢٠٧	الفلم المصرى	: الأستاذ محمد فريد أبو حديد ...
٢١٠	قصة المكروب	: الدكتور أحمد زكى ... ...
٢١٤	الحياة الأدبية فى دمشق ..	: الأستاذ على الطنطاوى .. ...
٢١٦	أزمة أوربا الدينية	: محمد جلال ... ...
٢١٩	بين الماضى والآتى ...	: الأستاذ أديب عباسى ... ...
٢٢٢	الرابطة الثقافية بين مصر والشرق العربى	: الأستاذ رفيق اللبابيدى . ...
٢٢٤	من ربوع الغرب الى بلاد العرب	: الدكتور عبد الكريم جرمانوس
٢٢٧	رثاء (قصيدة) ...	: الأستاذ جميل صدقى الزهاوى
٢٢٨	نذالة التعاسة « ...	: الأستاذ عبد الرحمن شكرى ..
٢٢٨	الأمة العربية « ...	: حبيب عوض الفيومى ... ...
٢٢٩	تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا	: الأستاذ خليل هنداوى ... ...
٢٣١	أجاممنون (قصة) ...	: الأستاذ دريني خشبة ... ...
٢٣٦	حلم ليلة صيف . بييردى نولهاك		
٢٣٧	كتاب عن ذكرى ابن ميمون . القصة فى التعليم		
٢٣٨	الاسلام فى اليابان . من أعاجيب الراديو		
٢٣٩	محمد (كتاب) ...	: الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٢٤٠	علم تكوين الجنين، دليل الحج والسياحة (كتابان)	الأستاذ محمد بك كرد على ...

على ذكر حوادث دمشق

تاريخ يثـــور...

على ضفاف الوادى، وهضاب فلسطين، ورياض سورية، يثور تاريخ، ويغضب مجد، ويستغيث مظلوم...!!

على الوطن الذى ورفت على نيله أول حضارة، والبلد الذى هبط على طوره أول دين، والقطر الذى انبثقت من ساحله أول ثقافة، تُمتحن الحرية بمن فرضوا على الملك أول دستور، وتُمتهن العدالة بمن حملوا لله أول كتاب، وتُبتلى الانسانية بمن أعلنوا للانسان أول حق...!!

على هذه الأقطار الثلاثة التى شع منها السلام والاسلام والخير، يستكلب الطمع، ويشتجر الهوى، وينفجر البغى؛ فالمفاوضات وعيد، والاحتجاجات حديد، والمواعيد مراوغة، كأنما عيَّ المنطق من طول ما مارس العلم! ومات الضمير من كثرة ما دارس الخُلق! وزهق العدل من شدة ما زاول القانون!!

فى القاهرة وأورشليم ودمشق، شباب يحمَى على لذع البنادق، ودم يفور على مسّ الأسنة، وأمل يشرق فى الوجوه الوضيئة،

وطموحٌ يومض فى العيون الرغيبة ، وماضٍ تميز فى إبهام الدهر يتمثل فى الأذهان الصافية ، ومجدٌ تأثّل فى أربعة عشر قرناً يعصف بالنفوس الفتيّة ! فماذا تصنع مُدية اللص فى قلب تدرّع بالإيمان ؟ وماذا تبلغ سطوة الباطل من حق تسجّل فى لوح الزمان ؟ !

* * *

يا لله ! ألم يأْنِ لدعاة المدنية ... وحماة الحرية ... ورسل العلم .. أن يروضوا عقولهم على الحقيقة ، ويفتحوا عيونهم على الواقع ؟ ! إن هذا الشعب الذى تتحلب أفواههم قرَماً لأكله ، لا يزال يعيش فى ملك آبائه الفاتحين ، ولا يزال معاوىّ الحنايا على العزيمة التى قبض بها من قبل على زمام الدنيا ، وشارك فى تصريف الأقدار ، وأملى إرادته على سجل الزمن ! إن حلمه لثقيل ، ولكن غضبته مفزعة ؛ وإن نومه لطويل ، ولكن يقظته مروّعة ! إنه على اختلاف أقطاره لا يزال يحمل فى نفسه سر (الجزيرة) التى يعيش فيها الجمل الوقور الصابر ، والأسد الهصور المتوثب !!

إن فى كبد أوروبا جمرة من العرب منذ غزتها بالدين والمدنية والعلم سفائنُ طارق ! ولقد انطفأت البراكين ولما تنطفىء هذه الجمرة ! أجْلت العرب عن أرضها بالبربرية الهوجاء ، والتعصب الحاقد ، والقسوة الجامحة ، ثم كتّبت الكتائب الحليفة وغزتهم فى عقر بلادهم باسم الدين المظلوم فى عهد (صلاح الدين) ، ثم بالعلم المسموم فى عصر (عبد الحميد) ، ثم بالمدنية المغشوشة فى عهد (عصبة الأمم) ! فما كان الدين والعلم والتمدن إلا ألفاظاً حُمِلت بالكره على معانى الثأر والاستعمار والغصب ! ثم أغروا بنا الجهالة والمجاعة والفوضى ، ومضوا فى ظلال الأمن ، يعقدون من دمائنا الذهب ، ويتخذون من لحومنا القوت ، حاسبين أننا مخدَّرون بالأباطيل فلا نفيق ، مُثْقلون بالتقاليد فلا ننهض ؛ ولكن المدن يا غُلْفَ القلوب كريم ! وهذا الذى يعلوه غبار لا صدأ ! وهاهى ذى سياسة الارهاب والاغتصاب تجلوه عن شباب عرفوا كيف يموتون ، أكثر مما عرفوا كيف يعيشون ! ! وهاهم أولاء يمشون على ما بلى من هيا كل الشيوخ ، كما يمشى المرحون على ما جف من سَقَيط الشجر ! ! إنهم يسرعون الخطى إلى الربيع الباسم والجو الطليق ، وفى أسماعهم المرهفة دوىٌّ لا ينقطع بهذا الهتاف : « لقد فتح آباؤكم ثلاث قارات فى ربع قرن ، أفتعجزون عن تحرير ثلاثة بلاد فى نصف قرن ؟ ! »

* * *

إن شباب العرب مصريين وسوريين قد أخذوا موثقهم من الدم الشهيد أن يعيشوا أعزة أو يموتوا كراماً ! فلا تتحدَّوا بالعذاب السفيه جنساً برمته وتاريخاً بأسره ، ولا تعبثوا بالمعاجم التى تعب فيها اللغويون والمجامع فتسموا النهب تنظيما والقتل تعليما والغزو صداقة ! جربوا الصداقة بمعناها اللغوى الصحيح تفرُوا المال والرجال والسمعة ، فإن هذا الشعب الذى وقعتم فى صفوه ، وتعبتم من غزوه ، ويئستم من خداعه ؛ كان له فى السياسة العالمية شأن ، وفى اللغة الدولية اصطلاح ، وفى قيادة الانسانية محل ، ومن اصلاح المجتمع نصيب ! فهو يفهم الصداقة ، ويقدر المعاونة ، ويكبر التضامن ، ويعقد صلاته بالناس على ضوء شريعته وقرآنه !

إن سلام الشرق منوط بسلام العرب ؛ وإن السلام والاسلام لفظان مترادفان على معنى واحد ؛ وليس من معانى السلام المهانة ، ولا من دلالات الاسلام الاستكانة ! إنما هما الحياة القائمة على الحرية والأخاء والمساواة ، وهى الأقانيم الثلاثة التى رسمتها الثورة على علمكم المثلث !

بغير هذا لا يرضى العرب ! وبدون هذا لا يحيا العرب ! فراجعوا فى سياستكم العقل السالم من الهوى ، والضمير الخالص من الرِّيبة ، وحكموا بينكم وبينهم مبادىء الناس ، فانهم — كما تحسون وتلمسون — من الناس ! !

احمد حسن الزيات

في وقع المـــوت

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

ضمني مجلس قال أحد من فيه — وقد ذكر بعضنا وفاة الملك جورج الخامس ، وقول الأطباء إنهم لم يشهدوا أعراض مرض معين ، وأن قواه كانت تهبط شيئاً فشيئاً — : « إن من الصعب على الانسان أن يواجه الموت وهو محتفظ بعقله » ، فقال آخر إن الذي يخفف عنـه في هذه الساعة أنه يستسلم للموت ولقضاء الله فيه ، فسألته : « هل معنى هذا أنه يقبل على الموت راضياً ويتلقاه مغتبطا ؟

فكان جوابه : « نعم . . . . يستسلم فيفقد الموت لذعه ورهبته » . . . ولست طبيباً ولا شبهه ، ولكني لا أرى هذا ولا أستطيع أن أقتنع به ؛ وعندي أن الانسان لا يزال إلى آخر عمره يثور على الموت ويجاهد أن يدفعه عنه ويقي نفسه منه ؛ ولكن جسمه يفقد الحيوية فتذهب معها الارادة — لا ارادة الحياة ، فانها لا تفارقه أبداً ، بل ارادة المقاومة والكفاح بعد استنزاف القوة ، ويظل المرء كارهاً للموت مشتهياً للحياة متعلقاً بها ، ولكنه يعرف من نفسه أنه لم يعد قادرا على المجاهدة ، ويخطئه العون اللازم من الجسم فيكون كالذي فقد في المعركة سلاحه ، أو فرغت ذخيرته والأعداء مطبقون عليه ، فيوطن نفسه على الموت يأساً من النجاة

والمرء إنما يقاوم الموت بجسمه ، وقد يستطيع بقوة الارادة أن يطيل أمد المقاومة ؛ ولكن استمرار المقاومة معناه أن جسمه لا يزال محتفظاً ببقية من القوة مذخورة — بالغة ما بلغت من الضآلة — وبهذه البقية يستطيع أن يجعل لارادته أثراً ولمقاومته لعدوان الموت مظهراً ، فاذا زالت هذه البقية ونضب المعين ، لم يبق للارادة عمل ، لأن الأداة التي تعمل بها الارادة تكون قد فنيت وذهبت

ولا فرق هناك بين من يكافح الموت — في الأحوال العادية الطبيعية — وبين من يقاتل مع جيش . فكما أن الجندي يثبت ويصمد ويتسنى له أن يكر ويفر ، ويهاجم ويدافع ما بقي معه سلاحه وعدته ، حتى إذا فقد ذلك لم يبق له عمل ، كذلك يكون المرء حيال الموت الذي يدلف إليه ويدنو منه على الأيام ليثبت عليه آخر الأمر . وكل ما هنالك من الفرق أن الموت كامن فينا ، وأن أداته الضعف الذي يصيبنا ، والهرم الذي يدركنا ، والعجز الذي يستولي علينا في النهاية ، فهو ليس عدواً يهجم علينا ، بل حالة نصير إليها حينما تنفد الحيوية لسبب من الأسباب

وقد راقبت الموت أكثر من مرة ، وشهدت كثيرين وهم في سـياقه ، ثم ماتوا بين يدي ، وكان الموت في هذه الحالات كلها على أثر نضوب الحيوية ونفاد القدرة على المقاومة . وكانت إحدى الميتات بسبب النزف ، فظل العقل حاضراً لا يغيب ولا تغيم سماؤه ، ولا يتعكر صفوه ؛ وكان الاحساس بدنو الأجل قوياً ، ولا شك أن الرغبة في الحياة كانت عظيمة ، والجزع من الفناء كان شديداً ، ولكن الجسم لم تكن له قوة تستخدمها الارادة ، فخرج النفس الأخير في سلام ومن غير أن يبدو للناظر أثر للصراع . وبأي شيء يكون الصراع ؟ ؟

وميتة أخرى شهدتها ، كان الصراع فيها كأعنف ما يمكن أن يكون ، لأن الجسم بوغت بعدوان المرض المنذر ، فتنبه فيه كل كامن من قوته ، وهبت إرادة الحياة تدفع هذه الغائلة ، وكان يخيل إلي وأنا أنظر ، كأن انساناً ألقي به في الماء وهو لا يعرف من السباحة إلا لفظها ، وكما يفعل المرء حين يلقي نفسه في الماء ويخشى عليها الغرق ، فتراه يضرب بيديه ورجليه بغير حساب أو تفكير ويهز رأسه هزاً عنيفاً ، وينفخ ويرغي ، كذلك كنت أرى أمي لما أصابتها الذبحة ؛ وسكنت الآلام بفضل العلاج يومين ، وبدأنا نستبشر ، ولكن النكسة جاءت ، أو لا أدري ماذا حدث ، فجعلت نوبات من الاختناق تعتريها ، وبينها في أول الأمر فترات طويلة جعلت تقصر شيئاً فشيئاً حتى صارت دقائق . وكانت أول الأمر تقاوم الاختناق بشدة ، وتعالج التنفس بجهد عنيف ، يظهر أثره في كل عضلة من عضلات الوجه والعنق ، وفي اضطراب الصدر وخفق القلب ، وفي دفع اليدين والرجلين ؛ وكان همي أن أقوي إرادة الحياة في نفسها وأن أمدها بما يكفي من الأمل والثقـة والشجاعة ، ولكن كرات الاختناق أوهنت قوتها واستنفدت مجهودها ، ولم يفارقها الحرص على الحياة ، والنفور من الموت ، وإنما خذلتها قواها ؛ لم يذهب عقلها ولا ضعف أو كل ، ولكن ما خير العقل وما غناؤه وحـده ؟ ؟

وبأى شىء يشتد أزره ؟ فلما جاءت آخر النوبات كان كل ماوسع الجسم أن يكافح به هذه الغارة أن الشفة السفلى اختلجت مرة أو مرتين ، فهمد الجسم وكف القلب عن النبضان وانقطعت الأنفاس

وقد سقت هذه الأمثلة لأقول إن الانسان لا يستسلم ولا يزهد فى الحياة ، ولا تفتر رغبته فيها ، ولا يضعف كرهه للموت واستهواله للفناء ، ولكنه لا يجد مؤازراً من جسمه فييأس ؛ وليس هذا استسلاما وإنما هو إدراك لحقيقة بغيضة لا يبقى مفر من مواجهتها وتوطين النفس عليها ، والاذعان لها كرها . وخليق بهذا أن يكون مؤلماً ، ولكن فترته أقصر من أن يكون الألم فيها قيمة أو حساب ، وعلى أن عجز الجسم عن المقاومة ، يذهب فى رأيى بالألم ، لأن الألم فيما أعرف نوع من الاستجابة لوقع الشىء أو الحالة ، ومتى فقد الجسم القدرة على الاستجابة للمؤثرات فانه يفقد أيضاً قدرته على الاحساس بالألم أو الحزن أو الجزع أو الفزع ، لأن شعوره بذلك يقتضى أن تكون هناك بقية من الحيوية ، ولو كانت هناك بقية ، لاستمرت المقاومة ولظلت رحى الكفاح بين الحياة والموت دائرة

فلست أوافق الذين يستهولون أن يكون المرء مدركا لمجىء الأجل ، لأن إدراك المرء لذلك ، معناه أنه يدرك أن جهده نفد ، وأن مَعين حيويته نضب وجف ، وهذا الادراك وحده وبمجرده ، رياضة سريعة للنفس على السكون الى المصير المحتوم ، لأنه إشاعة للموت فى الجسم قبل تجربة وقعه ، فكأن الانسان يوحى الى نفسه الموت — بفضل هذا الادراك وبقوته — قبل أن ينزل به ، فاذا زاره ألفاه مستعدا له ، مهيأ لتلقيه ؛ والادراك تهيّؤ ، والتهيؤ ينفى الألم ويستل اللذع

ومن هنا كانت الشيخوخة ـ أى الضعف ـ والمرض الطويل أو المضنى ، بمثابة التدريب على الموت . وكل امرىء يقرن الشيخوخة أو المرض بالموت ، ولا يستغربه حين يحل بالهرم أو الذى خامره الداء ، ولكن موت الشاب يصدم النفس ويرجها ، لأن الشباب ـ وهو أوان الحيوية الزاخرة ـ لا يقترن فى الأذهان بفكرة الموت . أما الشيخ الهِمّ فان كل من يراه يجرى بخاطره أنه هامةُ يوم قريب ، وأخلق أن يكون الموت أقرب الى خاطره وأجرى بباله ، وأشد مثولا وأكثر حضوراً ، لأنه أحسّ بنفسه وأدق ادراكا لما خسر من قوته ، وعلما بما صار اليه من الوهن والفتور بالقياس الى ما كان عليه من المُنة والنشاط والخفة والمرونة . ويألف المرء الضعف واليبس فيألف المصير الذى يرى نفسه ينحدر اليه بسرعة أو على مهل ، فيكون هذا كالرياضة له على السكون الى المآل المحتوم ، وهذا هو معنى قولى إن الشيخوخة أو المرض تدريب على الموت

وهذه الرياضة النفسية ـ أو التدريب الذاتى ـ على الموت أفعل وأوقع من كل ما يشاهده الانسان من عدوان الفناء على الحياة فى مظاهرها المختلفة . وأحسب أن المرء حين يرى غيره يموت ، أو يسمع بذلك ، يستثنى نفسه من هذا المصير وإن كان على يقين جازم من أنه حتم لا رادّ له ولا حيلة فيه ؛ ولعله فى ضمير الفؤاد يهنىء نفسه بالنجاة ويشكر الله على أن الموت لم يخطفه هو ، وعسى أن يكون الأمل المستمد من غريزة المحافظة على الذات هو الذى يغريه بالتعلق بوهم الاستثناء المستحيل ، وهو على كل حال يخفف وقع الخبر ، ويجعله محتملا ، ويذهب ببواعث الجزع على النفس قياساً على المشهود

ولكن قدرة المرء على مغالطة نفسه تضعف أمام دبيب الموت اليه على الأيام . ذلك شىء يحسه فى نفسه فلا سبيل الى تجاهله والاغضاء عنه . وكيف يسعه أن يتجاهل اليبس الذى فى أعضائه ، والتصلب الذى فى شرايينه ، والفتور الذى يجده ، والضعف الذى يعتريه حين يهم بأيسر الأشياء ، والعجز عن احتمال ما كان يمر به فلا يعيره لفتة ، الى آخر ذلك ؟ ؟ وكل يوم يمضى به يزيده وهنا على وهن ، ويدنيه من القرار الذى يُلقى نفسه هابطا اليه ، فلا يبقى سبيل الى مغالطة النفس . وكل ما يقدر عليه أمله هو أن يرجو أن يُنسىء الله فى أجله ، على الرغم مما يكابد من ذلة الشيخوخة ومهانة الضعف والحاجة المتفاقمة الى الاسناد . فهو مضطر أن يوطن نفسه على الموت ، وأن يقصر الأمل على طول المهلة ، وليس أجدى عليه ولا أفعل فى تخفيف وطأة الموت من هذه الرياضة البطيئة . ومن هنا كان موت الفجاءة مزعجاً لنفوس الأحياء ، لأن صدمته لما تجىء على غير انتظار . والله أعلم ، فما جربَ الموت أحد وعاد الينا ليقول لنا كيف كان وقعه ـ هذا طريق لا يحمل المسافر فيه « تذكرة » ذهاب وإياب ، كما يقول ويندل هولمز

ابراهيم عبد القادر المازنى

الوزير ابن كلّس

واضع الحجر الأول في صرح الجامعة الأزهرية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

سألني سائل كيف نشأت صفة الأزهر الجامعية ، ومن صاحب الفضل الأول في اسباغها عليه ؟ فرأيت أن أنتهز هذه الفرصة لأعرض في هذا الموضوع شيئاً من الشرح والتفصيل

ويجب أولا أن ننفي فكرة ذائعة ، هي أن الجامع الأزهر أنشىء ليكون جامعة أو معهداً للدرس ، فليس ثمة في ظروف انشائه ما يدل على أنه أنشىء لمثل هذه الغاية ، وإنما أنشىء الجامع الأزهر ليكون مسجداً رسمياً للدولة الفاطمية في حاضرتها الجديدة ، ومنبراً لدعوتها ، ورمزاً لسيادتها الروحية . أما فكرة الدراسة بالأزهر فقد كانت حدثاً عارضاً ترتب على فكرة الدعوة المذهبية الجديدة ؛ في صفر سنة ٣٦٥ هـ ، في أواخر عهد المعز لدين الله منشىء الأزهر ، ولنحو أربعة أعوام من انشائه ، جلس كبير القضاة علي بن النعمان القيرواني بالجامع الأزهر وقرأ مختصر أبيه في فقه الشيعة في جمع حافل من العلماء والكبراء ، فكانت هذه أول حلقة للدرس عقدت بالجامع الأزهر ؛ ثم توالت حلقات بني النعمان بالأزهر بعد ذلك ؛ وكان بنو النعمان من أكابر علماء المغرب الذين اصطفتهم الخلافة الفاطمية وجعلتهم دعاتها وألسنتها الروحية ، فلحقوا بها إلى مصر ، واستأثروا في ظلها برياسة القضاء زهاء نصف قرن ؛ وكانت الخلافة الفاطمية تعتمد في توطيد سلطانها بمصر على عصبيتها المغربية ، ثم على صحبها وخاصتها من الموالي الأجانب وجلهم من الصقالبة ؛ وكانت حلقات أولئك العلماء المغاربة بالأزهر حلقات دعاية روحية وسياسية ، تعقد في الغالب للأكابر والخاصة ، ولم تكن لها في البداية صفة الدرس العام

كانت هذه بداية جامعية في معنى من المعاني ، بيد أنها لم تكن عامة ولا مستقرة ؛ ولكن حدث في عهد العزيز بالله حدث جامعي آخر ؛ في رمضان سنة ٣٦٩ هـ جلس يعقوب بن كلّس وزير المعز لدين الله ، ثم وزير ولده العزيز من بعده بالجامع الأزهر ، وقرأ على الناس كتاباً ألفه في الفقه الشيعي ؛ وكان ابن كلس كما سنرى شخصية ممتازة ، تجمع بين السياسة والعلم ، وكان نصيراً كبيرا للعلماء والأدباء ؛ وكان يعقد مجالسه الفقهية والأدبية تارة بالأزهر وتارة بداره فيهرع اليها العلماء والطلاب من كل صوب ، وكانت في الواقع أول مجالس جامعية حقة عقدت بالجامع الأزهر

والظاهر أن ابن كلس كان أول من فكر في جعل الجامع الأزهر معهداً للدراسة المنظمة المستقرة ؛ وعلى أي حال فهو أول من فكر في تنفيذ هذا المشروع الجامعي ؛ ففي سنة ٣٧٨ هـ استأذن ابن كلس العزيز بالله في أن يعين بالازهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه ، ويعقدون مجالسهم بالأزهر في كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر ؛ وكان عددهم خمسة وثلاثين ؛ وقد رتب لهم العزيز أرزاقا وجرايات شهرية وأنشأ لهم دارا للسكنى بجوار الأزهر ، وخلع عليهم في يوم الفطر ، وأجرى عليهم ابن كلس أيضاً رزقا من ماله الخاص

وهنا نجد أنفسنا أمام حدث جامع حقيقي ، فقد كان أولئك الفقهاء الذين رتبهم ابن كلس للقراءة والدرس بالأزهر ، وأقرهم العزيز بالله ، أول الأساتذة الرسميين الذين عينوا بالجامع الأزهر ، وأجرت عليهم الدولة أرزاقا ثابتة وباشروا مهمتهم العلمية تحت رعاية الدولة بطريقة منظمة مستقرة ؛ وإذن فهنا نستطيع أن نقول إن الأزهر يكتسب لأول مرة صفته الجامعية الحقيقية كمعهد للدراسة المنظمة ، وأنه يبدأ هنا حياته الجامعية الحافلة المديدة

— ٢ —

وإذا ما تقررت هذه الحقيقة ، فإنا نستطيع أيضاً أن نقول إن أكبر الفضل في تتويج الجامع الأزهر بهذه الصفة الجامعية الجليلة يعود إلى الوزير ابن كلس الذي أسبغ عليه لأول مرة صفة المعاهد الدراسية العامة ، ورتب له أول فريق من الأساتذة الرسميين .

ولقد كان ابن كلس وزيراً عظيما وعالماً جليلا ؛ بل كان عبقرية سياسية حقيقية ؛ وهو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ؛ واسمه يدل على أصله الذمي ؛ أجل ، فقد كان ابن كلس يهوديا ، نشأ ببغداد ، وغادرها في شبابه إلى الشام واشتغل هنالك حينا

بالتجارة ، وأثقلتـه ديون عجز عن أدائها ففر إلى مصر فى عهد كافور الأخشيدى ؛ واتصل به وقام له ببعض الأعمال والمهام المالية فأبدى فى أدائها خبرة وبراعة ، وطاف بريف مصر يحصـل الأموال ويعقد الصفقات ، حتى تمكنت منزلتـه لدى كافور ، وأثرى وكثرت أمواله وأملاكه ؛ ثم ثابت له فـكرة فى الأخذ بنصيب من السلطة والولاية ، ورأى الإسلام خير طريق لتحقيق هذه الغاية ، وكان قد بلغه أن كافورا قال فى حقه لو كان هذا مسلماً لصلح أن يكون وزيراً ، فدرس قواعد الاسلام وشرائعه سراً ، وفى شعبان سنة ٣٥٦ هـ ، دخل جامع مصر (جامع عمرو) وصلى به الصبح فى موكب حافل ؛ ثم ركب فى موكبه إلى كافور ، فخلع عليـه ، واشتهر أمره ، وعلت منزله ، وقوى نفوذه ؛ فتوجس وزير مصر جعفر بن الفرات من تقـدمه وتمكن نفوذه شراً ، وأخذ يدس له الدسائس ، ويوغر عليه الصدور ؛ فخشى ابن كلس العاقبة ، وفر إلى المغرب فى شوال سنة ٣٥٧ هـ ، ولحق بالمعز لدين الله الخليفة الفاطمى ، وهو يومئذ ينظم مشروعه لغزو مصر ، فقدر المعز مواهبه وكفاياته ، ووقف منـه على أحوال مصر ومواطن القوة والضعف فيها ؛ ولبث ابن كلس فى خدمته حتى تم فتح مصر على يد جوهر الصقلى . ولما قدم المعز إلى مصر بأهله وأمواله وجيوشه فى رمضان سنة ٣٦٢ هـ ، قدم معه ابن كلس ، وقلده المعز شؤون الخراج والأموال والحسبة والأحباس وسائر الشؤون المالية الأخرى ، فأبدى فى إدارتها وتنظيمها براعة وزاد الدخل زيادة واضحة ، ثم عهد اليه المعز بشؤون الخاص ؛ ولما توفى المعز بعد ذلك بقليل فى ربيع الآخر سـنة ٣٦٥ هـ فوض العزيز بالله ولد المعز وخليفته إلى ابن كلس النظر فى سائر أموره ثم لقبه بالوزير الأجل ؛ ووقعت فى حقه وشايات من بعض خصومه فاعتقله العزيز بالقصر بضعة أشهر ، ثم أطلقه ورده إلى مناصبه ؛ وتضاعفت منزلته لدى العزيز وغدا أقوى رجل فى الدولة ؛ وبذل ابن كلس جهوداً عظيمة فى تنظيم الادارة والدواوين ، وكان من أكبر بناة الدولة الفاطمية بمصر وموطدى دعائمها ونفوذها .

وليس غريباً أن يحرز رجل مثل ابن كلس تلك المـكانة الرفيعة فى ظل الدولة الفاطمية مع أنه يهودى الأصل والنشأة ؛ فقد كانت الخلافة الفاطمية تصطنع الذميين والصقالبة ، وتوليهم ثقتها ؛ وقد ولى وزارتها فيما بعد ، فى عصر الحاكم بأمر الله ، وزراء يهود ونصارى خلص مثل ابن رسون ، وابن فهد ، وعيسى ابن نسطورس ، وابن عبدون ؛ وتولى بعد هؤلاء كثيرون فى عهود مختلفة ؛ ونستطيع أن نفهم سر ما كانت توليه الخلافة الفاطمية لوزرائها الذميين من العطف والثقة إذا ذكرنا أنها تتهم من بعض خصومها بالانتماء إلى أصل يهودى ، وأنها كانت تتهم فى عقائدها

ولم يكن ابن كلس وزيراً وسياسياً عظيما فقط ، بل كان عالما وأديباً كبيراً أيضاً ، وكان يعقد بداره مجالس علميـة وأدبية دورية ينتظم فى سلكها أكابر الفقهاء والأدباء والشعراء ؛ وكان يشرف بنفسه على هذه المجالس ، ويشـترك فى أعمالها ، ويغدق العطاء على روادها . وقد أخذ ابن كلس بقسط حسن فى التأليف والكتابة ، فوضع كتابا فى القراءات ، وكتابا فى الفقه ، وكتابا فى آداب رسول الله ، وكتابا فى علم الأبدان والصحة ، ومختصرا فى فقه الشيعة مما سمعه من المعز لدين الله ، وهو المعروف بالرسالة الوزيرية . وكان يقرأ كتبه على الناس تارة بالجامع الأزهر وتارة بداره ، ويجتمع لديه الكتاب والنحاة والشعراء فيناظرهم ويصلهم ؛ وكانت موائده دائماً منصوبة ممدة للوافدين ؛ وكان كثير الصلات والاحسان ، وبالجملة فقـد كان هذا الوزير والعالم الأديب مفخرة فى جبين عصره ، وقد أشاد شعراء العصر بخلاله وجوده ، ومن ذلك ما قاله أحدهم حين أصابت الوزير علة فى يده :

يد الوزير هى الدنيا فان ألمت ... رأيت فى كل شىء ذلك الألما
تأمل الملك وانظر فرط علته ... من أجله واسأل القرطاس والقلما

ومرض ابن كلس فى شوال سنة ٣٨٠ هـ ، فجزع عليه العزيز أيما جزع ، ولبث يعوده ويرعاه ، حتى توفى فى الخامس من ذى الحجة ؛ فحزن عليه حزناً شـديدا ، وأمر بتجهيزه تجهيز الأمراء والملوك ، وخرج من القصر إلى داره فى موكب صامت محزن ، وشهد تجهيزه وصـلى عليه بنفسه ، ووقف حتى تم دفنه وهو يبكى بدمع غزير ، واحتجب فى داره ثلاثاً لا يأكل على مائدته والحزن يشمل الخاص والقصر كله ؛ وأفاض الشعراء فى رثاء الوزير الراحل ومديحه ، فوصـلهم العزيز جميعاً ؛ وعلى الجملة فقد سما ابن كلس فى ظل الدولة الفاطمية الى أرفع مكانة ، وترك

بوفاته فيها أعظم فراغ ، وكان له أعظم الأثر فى توطيد حكمها وادارتها بمصر

— ٣ —

هكذا كانت حياة ذلك الوزير الخطير الذى يدين إليه الأزهر بأول خطوة عملية حقيقية فى سبيل الحياة الجامعية ؛ ومن المحقق أن تلك الخطوة الأولى فى ترتيب الأساتذة والدروس بالأزهر بطريقة منظمة مستقرة ، كان لها أثر كبير فى تطور الغاية التى علقتها الخلافة الفاطمية بادىء ذى بدء على إنشاء الجامع الأزهر ؛ فقد كانت هذه الغاية كما رأينا أن يكون المسجد الجامع الجديد رمز الخلافة الجديدة ومنبرا لدعوتها ؛ ولكن يلوح لنا أن الخلافة الفاطمية لم تكن ترمى فى المبدأ إلى توجيه الأزهر إلى تلك الناحية الجامعية ؛ ذلك لأن الجامعة الفاطمية الحقيقية أقيمت بعد ذلك فى عصر الحاكم بأمر الله باسم دار الحكمة أو دار العلم الشهيرة فى سنة ٣٩٥ هـ (سنة ١٠٠٥ م) ؛ ولكن الأزهر كان يومئذ بفعل الظروف والتطورات التى أشرنا إليها قد بدأ حياته الجامعية ؛ ومع أن دار الحكمة لبثت مدى حين تنافس الأزهر وتستأثر دونه بالدراسة المتصلة المنظمة ، فانها لم تلبث لصرامة نظمها وإغراق برامجها فى الشؤون المذهبية ، أن اضطربت أحوالها وضعف نفوذها العلمى ؛ هذا بينما كان الأزهر يسير فى سبيل حياته الجامعية الوليدة بخطى بطيئة ولكن محققة ، ويسير فى نفس الوقت إلى التحرر من أغلال تلك الصبغة المذهبية العميقة التى كادت فى البداية أن تقضى على مصايره الجامعية الصحيحة

ونحن نعرف أن هناك مشروعاً للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر — وهو عيد يقع بعد نحو أربعة أعوام — ونعرف أن من مظاهر ذلك الاحتفاء بتلك الذكرى الجليلة أن يكتب تاريخ حافل للجامع الأزهر منذ إنشائه إلى يومنا ؛ فمن حق الوزير العالم ابن كلس أن يتبوأ فى ذلك التاريخ مقاماً يجدر بفضله فى وضع الحجر الأول فى صرح تلك الجامعة الكبرى (١)

محمد عبد الله عنان

(١) راجع فى هذا البحث وما يتعلق به : خطط المقريزى (الطبعة الأهلية) ج ٤ ص ٤٩ و ١٥٦ و ١٥٧ و ج ٣ ص ٧ — ١٠ ؛ وابن خلكان ج ٢ ص ٤٤١ ؛ والاشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفى ص ٢٣

الفلم المصرى

بمناسبة فلم دموع الحب

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

لا يسع المصرى إلا أن يغتبط أعظم الاغتباط عندما يرى تلك الأفلام المصرية الجديدة التى أقدم أبناء مصر على إخراجها بين حين وحين ؛ ولا شك فى أنها فتح جديد يجب أن نفخر به ، ونحرص على المزيد منه ؛ وإذا كان الجمهور المصرى قد أقبل على رؤيتها ذلك الاقبال الباهر فان فى ذلك دليلاً قوياً على مقدار تطلعه إلى أن يرى تلك الصناعة تنمو وتنجح . فالشعب يؤدى واجبه فى تشجيع أبنائه من أهل الفن ويجيب مجهود المقدمين منهم إجابة كريمة مستنيرة

والفلم المصرى له مكان لا يستطيع فلم آخر أن يحل محله . فانه يشبع من عواطف المصريين مالا يشبعه خير الأفلام العالمية الأخرى ، وذلك أثر من آثار النهضة المباركة التى نحسها فى كل ناحية من النواحى . فالشعب المصرى يحس بنفسه ويريد أن يرى تلك النفس مصورة أمامه تصويراً فنياً كما يحتاج الانسان إلى أن ينظر فى مرآة ليرى صورة وجهه أو هندامه ، وكما يرتاح إلى أن يسمع ترديد آماله ونزعات نفسه ومُثُله العليا

فكل فلم من تلك الأفلام حديث نفسى يتحدث به الفنان إلى بنى قومه . فهى ليست قطعة من الفن فحسب . بل هى رسالة عاطفية يرسلها الفنان من نفسه إلى نفوس الجماهير المتعطشة إلى الحياة والعلو والقوة ، ولهذا فنحن إذا ذهبنا لإجابة الداعى إلى فلم مصرى كانت إجابتنا أولاً قومية وثانياً فنية

ومن هذا الاعتبار لا يسع المصرى أن يقارن أو يوازن بين الأفلام المصرية ، وبين ما تخرجه الشركات العالمية من آيات الفن . لأن الأفلام العالمية إنما تؤدى رسالة واحدة وتشبع ناحية واحدة هى رسالة الفن المحض والناحية الأدبية الصرف ، ومهما كانت تلك الناحية الفنية فهى فى المحل الثانى من نفوسنا ، ولا يمكن بأى حال أن تحل المحل الأول الذى

استولت عليه الآمال والأمانى ، والرغبة القوية فى الحياة ، والسمو والاعتزاز بالنفس

غير أنا نطلب من النفس المصرية أكثر مما تستطيع بذله إذا نحن وقفنا عند حد الأمانى القومية ؛ بل إن تلك الأمانى نفسها قد تخيب ولا تجد ما يستثيرها ، أو يعبر عنها إذا لم تتقدم الناحية الفنية وتعلو إلى المستوى الذى تتطلبه النفوس من الجمال والقوة ؛ ولهذا نجد من أنفسنا جرأة على أن نتناول ما يظهر من الأفلام المصرية بالتحليل والنقد حتى نشير إلى ما كنا ننتظر ، وما كانت نفوسنا تصبو إليه ؛ ولهذا نرجو أن يدرك قراء هذه الكلمة قصدنا منها ، وهو أن نشير إلى أمور يجب أن تراعى فى الأفلام التى يقدمها المخرج المصرى . فاذا ظهر أننا على حق فيما نذهب إليه كان مخرج الفلم المقبل على هدى فيما يتطلبه الجمهور المصرى منه فيعمل على تحقيقه ، وبذلك يكون الغد أقرب إلى الكمال من اليوم . إننا لا نستطيع أن ننكر فضل أولئك الرواد الذين قد فتحوا باب ذلك الفن ، ولا نستطيع أن ننكر ما مهدوا من العقبات ، ولا ما عانوا من المشقة فى سبيل عملهم المجيد ، وإنما ندعو بهذه الكلمة إلى التطلع إلى الملا ، وبلوغ درجات جديدة من الاتقان . فاذا تكلمنا هنا عن فلم دموع الحب فلسنا نريد أن نخصه بالنقد ، بل إنا نتخذه مثلاً فى النقد لأنه أحدث الافلام وأقربها مثولاً فى الأذهان

إن الفلم لا يكون ذا أثر بالغ فى النفس إلا إذا كان يخدع الناظر عن المقصد المباشر الذى يرمى إليه الفنان . فان الناظر إذا استغرق فى تأمل القصة التى أمامه ، كان ميالاً إلى نسيان الحقيقة وأنه إنما ينظر إلى قصة — بل يخال أنه يعيش ويتأمل منظراً من مناظر الحياة ؛ وتبلغ مقدرة الفنان ذروتها إذا استطاع أن يخدع الناظر فيجعله لا ينتبه إلى أنه إنما يطالع صفحة صور متحركة بل ينظر منظراً من مناظر الحياة الحقيقية ، ويكون هذا الخداع ممكناً إذا عمل الفنان على أن تكون كل الوقائع المعروضة تسير سيراً طبيعياً لا تكلف فيه ، وتتابع تتابعاً طبيعياً من غير تعسف ولا شطط . فاذا شعر الناظر أن هناك قفزة فى الوقائع ، أو أن هناك ثغرة فى التسلسل ، انتبه إلى نفسه وصحا من سحر المنظر ، وفسدت عليه الغاية التى يقصدها الفنان

وإذا أردنا أن نضرب أمثلة من فلم دموع الحب على تقصير الفنان فى هذا الجانب النفسى لم يصعب علينا الأمر . فان تصور أية حادثة من الحوادث فى تلك القصة يتيح لنا فرصة للتمثيل . فلنأخذ الموقف الأول الذى ظهر فيه فكرى افندى (عبد الوهاب) فى حديقة المنزل وقابل الفتاة ابنة صاحب المنزل ، فان المنظر لم يزد على مقابلة جاءت عفواً ، ولم يطل أكثر من مدة صب الشاى . ثم استأذن فكرى افندى فى الخروج لمقابلة صديق ، ومع ذلك قد كانت هذه المدة الوجيزة كافية لأن تجعل الشاب فكرى افندى يهوى الفتاة ، ولأن يجعل الفتاة تحب ذلك الشاب ، كأنما قد عزم كل منهما ابتداء على أن يحب الآخر إذا رآه ! حقاً إن هناك نوعاً من الحب ينشأ للنظرة الأولى ، ولكن ذلك الحب لا يستطيع أن يكون من نظرة عابرة جاءت عفواً ؛ ولئن كانت النظرة السريعة تعقب الحب فلا بد أن يكون هناك عامل قد ساعد عليها ، وأنه من حق النظارة أن يروا ما هو ذلك العامل الذى أسرع بالحب إلى هذا الحد

على أننا إذا سلمنا أن الحب قد ينشأ من النظرة العجلى ، فانا لا نستطيع أن نسلم أن تبادل ذلك الحب يكون بغير تدرج ولا تقديم ، وذلك على الأقل بين أصحاب النفوس المثقفة المهذبة ، فكان لا بد للمخرج أن يدبر من الحوادث ما يساعد على إتاحة الفرص لتبادل ذلك الحب وإنمائه ، ولكن فلم دموع الحب سار من المقابلة القصيرة الأولى إلى نزهة فى الفجر فى الحديقة يلتقى فيها الشاب بالفتاة ويبادلها أول ألفاظ التعارف فلا يكادان يسيران معاً دقائق قليلة حتى ترتفع الكلفة ، وحتى يندفع الاثنان فى تصريحات ودية ، وحتى تبادلا الحب تصريحاً . ثم يسير الفلم بعد ذلك إلى نزهة لا مناسبة لها ، ولا تفسير يعلل حدوثها ، وفيها يتبادل المحبان العهود والمواثيق على أقدس أنواع الارتباط

ومثل آخر لا يستطيع الناظر إلا أن يصطدم به وهو عند ما عاد فكرى افندى من السفر بعد أن تبسم له الحظ ليحمل إلى حبيبته بشرى تحقيق الأمل فى الزواج فيجد حبيبته فى الحديقة إلى جوار حلمى صديقه ، ولم يكن يعرف أن ذلك الصديق له أية علاقة بحبيبته وكذلك لم يكن ينتظر أن يجد تلك الحبيبة فى مثل تلك الجلسة الخاصة مع شاب آخر . ومع ذلك فانه لم يفعل شيئاً

أكثر من أن وقف وجعل يتكلم عما جاء له ، وكأنه لم يلاحظ شيئاً في وجود حبيبته في الحديقة منفردة مع شاب يناجيها وحيداً . ألم يكن من حق الناظر أن يرى علامة من علامات الاستياء على وجه الحب المتيم ؟ ألم يكن على الأقل من حقه أن يرى علامة من علامات الدهشة أو الارتياع على وجه الشاب الذي أتى يحمل كل آماله إلى حبيبته فلا يجدها تطير نحوه كما كان ينتظر ؟ وأين كرامته المجروحة ؟ وأين حبه الثائر ؟ وأين غيرته ونيران حقده ؟ ثم ذلك الصديق الذي خانه مع سابق إخلاصه اليه وآثر على سعادته مع ما قدمه له في الأيام الماضية من وده وإخائه . ألا يستحق منه غير ذلك الموقف الفاتر الخامد ؟

ويعود فكري افندي بعد ذلك إلى الدار التي كان قد بناها لتكون داره مع زوجته المنشودة فيبكي ويتضاءل حتى يبلغ مكان صورة تلك الحبيبة الغادرة — ولكنه يقف فيطيل البكاء إلى جانبها ولا تحدثه نفسه بثورة ما — أحقا هكذا يفعل الحب الثائر الحب ؟

إننا نخطيء كثيراً لو زعمنا أن الفلم يستطيع أن يبلغ المستوى المطلوب بالغناء وحده ، فاذا شئنا الغناء فليكن الفلم صورة لعرض غنائي لا محاولة فيه للتمثيل . فاذا كان ولا بد من المزج بين الغناء والتمثيل فليكن الدور الأكبر مسنداً إلى من يستطيع أداءه ، وليختر موضوع الفلم اختياراً يسمح بأن يكون للمغني دور لا يحتاج إلى كبير دراية في فن التمثيل . فالحق أن الأدوار الثانوية في فلم دموع الحب كانت لا نسبة بين أدائها وبين أداء الدور الأكبر . فلقد أتقن المعلم حنفي (عبد القدوس) ما شاء له الفن وكذلك أتقن حلمي افندي (سليمان نجيب) دور الصديق الغادر والغني المستهتر اتقاناً يستحق كل الاعجاب ، ولو كان هذان الفاضلان هما بطلا القصة لكان الاخراج الفني أبرع وأبدع

وأما عن الغناء فلست أدري ماذا يرى كل من شهد الفلم فيه ، لأن الغناء مرجعه إلى الذوق ولا يستطاع فيه النقد المنطقي الذي يصح في التمثيل ، على أني لا أستطيع أن أكتم ما أحسست به ، وذلك أنني لم أسمع إلا تلك الأغاني التي اعتدنا سماعها في الصالات ، وفي ليالي الغناء المعتادة ، وفي أسطوانات الأدوار الشائعة . وبعد فانا نتساءل : أهذا هو الغناء المقصود في روايات الأوبرا أو الأوبريت ؟ إننا لم نشهد بعد من تقدم الغناء ما كنا شهدنا بوادره في روايات السيدة منيرة المهدية أمثال كرمن وروزينا وتاييس وغيرها مما عرضته تلك الفنانة الماهرة في وقت ما منذ عشرات السنين ، وقد كنا ننتظر أن يسمو الغناء المسرحي بعد ذلك إلى درجة أعلى من تلك ، فاذا بنا نعود إلى تلك الأغاني الساذجة المكررة التي اعتدنا سماعها على التخوت أو في الصالات . وإنا لا نشك في أن تلك الأغاني لها جمالها الخاص ، ولا سيما عند بعض الأذواق التي يجب أن تخرج عن قيود المألوف إلى التعبير عن عواطف النفوس ، وتستدرج السامعين إلى أنواع منوعة بدل تلك الآهات المكررة والأنغام الواحدة المعتادة . وإنه لمن العجيب أن نسمع صوت العود والكمان ، بل نقر الدف لحفظ الوحدة في تلك الأغاني كأنما نحن نستمع إلى تخت لا إلى شخص حي يفيض بعواطفه ويترجم عن وجدانه ! والحق أن تلك الآلات الموسيقية وذلك النقر الناشز كان له أثر عظيم في تحويل العقل عن الاستغراق في القصة ، وإلى إزالة غشاء الخيال عن جو القصة وإعادتها إلى جو آخر تنبه فيه العقل إلى أن الصور التي أمامه إن هي إلا صور متحركة وليست قصة حياة

ولقد جرى مخرجو الأفلام المصرية إلى الآن على عادة لا نظنها تؤدي بهم أبداً إلى التفوق المنشود ، وذلك أنهم يحاولون الاستغناء عن المؤلف الأديب . ولو كان المؤلف الأديب غير ضروري لكان لهم العذر فيما يذهبون اليه ، ولكانت رغبتهم في الاقتصاد مفهومة واضحة ، إذ لا نستطيع أن نلومهم على اقتصاد مبلغ من المال بدل أن يبذلوه للأديب الذي لا فائدة منه ، ولكن الأمر على غير ذلك ، فان أول أساس لنجاح القصة أن تكون قصة صالحة مكتوبة كانت أو مترجمة . ولقد رأينا فيما مضى أن أقوى مهارة في التمثيل تضمحل وتنتهي إلى الفشل التام إذا لم يكن دعامة ذلك التمثيل موضوعاً سامياً وقصة رائعة ذات جمال وفن وأدب ؛ ونحن إذا استعرضنا المحاولات التي حاولها المخرجون إلى الآن لم نجد أنهم خصصوا لناحية القصة عناية تذكر . وقد يشكو المخرجون من أن الأدباء لا يواتونهم بالمؤلفات اللائقة كما أنهم قد يشكون من أن الأدباء يظهرون لهم من صعوبة المراس ما يجعلهم ييأسون من تعاونهم ، ولكننا مع ذلك نريد أن نذكرهم ببعض أرقام قد تكون لها دلالة كبرى فان متوسط ما يناله الأديب الانجليزي نظير قصة من قصص الأفلام يتراوح بين خمسمائة جنيه

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل الفائت

نصب أعداء بستور له فخاً فدعوه إلى أن يجرى تجربته عن اللقاح الذى اكتشفه فى جمع عام . فأجابهم إلى ذلك ، وحقن البهائم على رؤوس الأشهاد بالمكروب الأضعف ، وبعد أيام حقنها بالضعيف ثم بعد أيام بالأقل ضعفاً . واصطبر إلى اليوم الذى يحقنها فيه بالمكروب الحى القتال

— ٤ —

وجاء اليوم الكبير الموعود ، اليوم الحادى والثلاثون من مايو ، فحقنت المواشى جميعها – ما حُصِّن منها باللقاح وما لم يحصن – بحقنة قاتلة لا شك فيها من مكروب الجمرة ، وقام بحقنها رو ، فنزل فى الوحل إلى ركبتيه ، ومن حوله مصابيح الكحول وقوارير المكروب ، فأدهش النظارة بحسن ضربه الابرة فى جلود الحيوانات ، وبهدوئه ورزانته وبروده وهو يضربها

أودع بستور كل سمعته العلمية هذه التجربةَ الدقيقة التى لا تؤمن ، وما فرغ منها حتى أدرك حقيقة الموقف ، وأيقن أنه أجاب داعى الرجولة والشجاعة برضائه إجراءها ، ولكنه أيقن إلى جانب ذلك أنه أذن للجمهور ، وهو المتلوّن المتذبذب ، فى تقدير علمه والحكم عليه . فلم يطب له نوم تلك الليلة ، وقضاها يتلوى ويتقلب على فراشه ، وكلما عزه النوم قام عن سريره يطلب الراحة فى القيام ، ثم هو لا يجده فيعود إلى النوم ، وهكذا دواليك ، وأوصته زوجه بالصبر ومنَّته خيراً فصمت عنها ، ودخل معمله وخرج منه مُقطَّب الجبين عابساً ، ولا شك عندى أنه هرع إلى الله فصلى ورجا وابتهل ، ولو أنى لم أقرأ شيئاً من ذلك فى الأوراق

كره بستور الصعود فى البالونات ، وخشى دائماً عواقب الخصومات فى المبارزات ، ولكنه لم يجبن ولم يتردد لما دعاه هؤلاء البيطريون إلى هذه التجربة وساقوه عامدين إلى هذا المأزق الخطير

وجاء اليوم الأكبر الموعود ، يوم الثانى من يونيو عام ١٨٨١ ، فجاء الناس من كل حدب وصوب لحضور اليوم المشهود ، يوم يحكمون فى أمر بستور ، فإن خيراً فله ، وإن شراً فعليه ، وكثر عددهم حتى ضاق بهم المكان الرحيب ، وتضاءل إلى جانب هذا الاجتماع كل اجتماع سبقه ، وكان فى الحاضرين نواب الأمة وشيوخ من شيوخها ، وكان فيهم عظماء ، وكان فيهم كبراء ، ومن كل حسب ونسب لا يظهر فى الناس إلا فى أعراس الأمراء وجنائز الملوك ، وكان فيهم الصحافى الشهير دى بلوفتس de Blowitz فاجتمعت حوله جمهرة من رجال الصحافة ومكاتبيها

ودقت الساعة الثانية ، فخرج بستور إلى الميدان بصحبة رجاله ، وفى هذه المرة لم يكن له ولهم من الجمهور إلا الترحيب الصارخ والهتاف المتعالى . فأما الشياه الأربعة والعشرون التى كانت لُقِّحت ثم حُقنت فيها الملايين من المكروبات القاتلة فقد وجدوها قائمة تأكل وتجرى فرحة مرحة هائمة بالحياة ، ولم يجدوا بواحدة منها أثراً من الحُمَّى ، فكأن مكروب الجمرة لم يخالط دمها ، وكأنما كان بينه وبينها ما بين الأرض والسماء

وألف جنيه ، فى حين أن متوسط ما يناله الأديب من هوليوود أكثر من ألف جنيه بلا نزاع ؛ وليس من العجيب ولا المحرم أن يفوز المثرى بآلاف الجنيهات ؛ وكذلك ليس من العجب ولا المحرم أن يفوز المخرج أو الممثل أو عارض الأفلام بآلاف مثلها ، ولكنا نضيف إلى ذلك أنه ليس من العجيب ولا من المحرم أن يفوز الأديب ببعض تلك الألوف ، لأنه شريك أساسى فى المجهود الفنى . ولهذا نرجو أن يعنى المخرجون باختيار الموضوعات وألا يضنوا على الأدباء بما يشجع البرز منهم على التخصص فى إخراج ما تحتاج اليه الأفلام المصرية من القصص

هذه كلمة لا نقصد بها إلا خدمة ذلك الفن الوليد ونحن على يقين من أن القراء مدركون قصدنا منها ، وكذلك نرجو أن يحملها المخرجون والفنانون على المقصد السامى الذى نرمى اليه .

محمد فريد أبو حديد

أما الشياه الأربعة والعشرون الأخرى التي لم تُلقَّح ، فلأن الأربعة والعشرين التي حقن المكروب القتال تحت جلدها من غير أن تُحمى منه وتُحصَّن ، فقد وجدوا اثنتين وعشرين منها رافدة على جنوبها في خط واحد رقدةً تبعث الأسى والحزن . أما الاثنتان الأخريان فكانتا لا تزالان قائمتين على أرجلهما ولكن في غير اتزان ، تجاهدان في سبيل العيش هذا العدوّ الأخفى الذي ما غالب الحياة إلا غلبها ، وكان دم أسود ينضح من أنفيهما ومن بين شفتيهما ينذر بقرب لحاقهما بالشياه المنبطحة الصريعة من أخواتها

صاح بَيْطار لأخيه البيطار : « انظر ، انظر ، فهذه أخرى من التي لم يلقّحها بستور قد سقطت إلى الأرض ! »

— ٥ —

حضر عيسى المسيح عرس (كانا) الشهير ، فلما نَفِد الخمر وكاد يتعرض أهل العرس للفضيحة شاء يسوع أن يستحيل الماء خمراً فاستحال ، ولم يذكر لنا الانجيل تفصيل ما ظن الناس بصاحب هذه المعجزة ، ولا ما فعلوا به عندها . وهذا بستور في الثاني من يونيو عام ١٨٨١ يأتي في هذا العصر الحديث بمعجزة لا تقل إعجازا عن تلك التي وقعت في ذلك العصر المقدّس المتين فيقوم هذا الجمع الحاشد ، على الرغم مما كان من اختلاف أهوائه يحنون رؤوسهم لهذا الرجل القليل ، المشلول بعضُه ، الذي حمى مواشيهم تلك الحماية التامة الرائعة من قرصات هذه الخلائق الصغيرة التي تقرص فتقتل في الظلام قتلاً مؤكّدا . إن هذه التجربة الجميلة التي أجراها بستور على الملأ في بُحبوحة هذا الحقل تقع في نفسي موقعاً شاذا غريباً ، لأنها قصة شاذة غريبة في تاريخ الانسان وجماده هذه الطبيعة القاسية . أما شذوذها فني هذا التهليل والتكبير الذي صحبها ، وهذا الترحيب الصاخب الذي ناله بستور من أجلها . فعهدنا بكشوف العلم ألا تقدّر في حينها ، وعهدنا بها أن ينال صاحبها الأذى من أجلها . ألم يودع جاليليو السجن من أجل أبحاثه التي تسببت أكثر من غيرها في الانقلاب الهائل الذي أدى بالدنيا إلى حالها الحاضرة ؟ وكم لجاليليو من أشباه وأمثال . كذلك عهدنا بصاحب الفكرة أن تبقى فكرته ويزول فلا يَنْعم حتى بالذكر طيباً كان أو خبيثاً . وإلاّ فما العباقرة الأولون الذين اخترعوا النار واصطنعوا العجلات وابتدعوا الشراع وأنّسوا الخيل ؟

— ٦ —

أما بستور فحظه غير حظ هؤلاء جميعاً . فهذا هو قائم في هذا الحقل ومن حوله الأغنام الأربعة والعشرون تشطح وتمرح بين جُثث أربعٍ وعشرين لأخوات لها ماتت شر ميتة . رجلٌ قدير في تمثيله ، ومسرحٌ فخم في بشاعته ، ورواية خالدة على الدهور ، وقد اجتمعت الدنيا اليه تسمع وتنصت ، وتُثبت ما تسمع ، ثم تدخل في دينه أفواجاً تحارب معه الموت لمّا بان لها أن النصر قريب أكيد

وأحدثت هذه التجربة في الناس تحوّلا كبيرا . مثال ذلك رجل يدعى الدكتور بَيُوت Biot كانت صناعته علاج الخيل والسخرية ببستور سخريةً مُرّة . فلما رأى أخيرة الشياه تموت جرى مندفعاً إلى بستور يصيح به : « بالله عليك يا سيدي إلاّ ما حصّنتني بهذا اللقاح كما حصّنت هذه الشياه ، ثم حقنتني بذلك المكروب القاتل كما حقنتها فنجّيتها ، فالعالم لا بد أن يقتنع بصدق هذا الكشف العجيب ! »

وجاءه خصيم آخر مخفوض الجناح يقول : « حقاً إني قصفت بالنكات الكثيرات عن هذه المكروبات ، أما اليوم فأنا خاطئٌ توّاب ! » . فأجابه بستور مقتبساً من الانجيل : « سيكون الفرح في السماء لخاطئٌ واحد يتوب أكثر منه لتسعة وتسعين من العُدُول الذين لا يحتاجون إلى التوبة »

أما الصّحفيّ الكبير دى بلوفنس فهتف لبستور وهرع يرسل تلغرافه إلى جريدة التيمس والى جرائد الدنيا . قال فيه : « إن تجربة قرية پويي لوفرت Pouilly-le-Fort نجحت نجاحا كاملا لم يسبق له مثيل

وتلقت الدنيا هذا الخبر ، وأخذت تنتظر ما بعده ، فكأنما حسبت في شيء من التخابط أن بستور بعض الأنبياء أرسله الله رحمة بالناس ، يحمل عنهم الأثقال ويدفع عنهم الآلام . وخرجت فرنسا عن وعيها فيه فنادت به أعظم أبنائها ومنحته وسام الكردون لأكبر لليجيون دونير Grand Cordon of the Legion of Honour وبعثت اليه الجمعيات الزراعية والبياطرة وفقراء

الفلاحين ممن حلَّ بحقولهم داء الجمرة اللامين ، بعثوا أجمعين إلى بستور برقيات عديدة يسألونه ألوف الحُقَن من لقاحه الشافى ، وأجاب بستور وأعوانه الثلاثة رجاء هؤلاء فى نخوة مجيدة أنستهم صحتهم – والعلم كذلك . وكان بستور شاعراً ، فأثارت شاعريته فى قلبه إيماناً بتجربته ، التى كانت ، زاد حتى أربى على إيمان من دخلوا فى دينه حديثاً

نعم أجاب بستور السائلين ، فقلب معمله الصغير بشارع أُلْم Ulm إلى مصنع للقاح ، فكنت ترى الأوعية الكبيرة بأحسيتها على النار تغلى وتتفقع ليُزرع فيها مكروب الجمرة بعد إضمانه وتأنيسه . وكنت ترى رو وشمبرلاند يقومان على إضعاف البشلة القوية والتخفيف من عنفها لتعطى شياه فرنسا بعض المرض دون أن تقتلها ، وتوخيا الدقة فيما يعملان ، ولكن أين الدقة من المسرع الهلع ؛ وتهيأ اللقاح ، فقام الأعوان جميعاً والعرق يتصبب منهم بتعبئة الجالونات الكثيرة منه فى زجاجات صغيرة تسع الأوقيات القليلة . وكان لابد أن تكون الزجاجات طاهرة من المكروب كل الطهارة فطهروها ؛ كل هذا دون أن يكون لديهم كل الأجهزة اللازمة لضمان العاقبة ، يا عجبا لبستور ! كيف قام بذلك كله ؟ بل هى تجربة واحدة واضحة ابتدعها – أم هو القدر أغراه بها ؟ – ملأته ثقة عمياء ليس عهدى بالتجارب الفرادى الواحدة أن تملأ رجلاً بمثلها "

وفى أثناء تحضير هذه الألقحة كان الأعوان الثلاثة يتحينون الفرص فيفلتون منها ليلقحوا البهائم فى شمال فرنسا وفى جنوبها ، وأدى بهم المطاف يوما إلى هنغاريا . لقحوا مائتى شاة هنا ، ولقحوا خمسمائة وستا وسبعين شاة هنالك ، حتى بلغ ما لقحوه فى دون العام مئات الألوف منها ؛ ثم يعود هؤلاء اللقاحون الأفاقون يجرون أرجلهم من التعب إلى باريس ، وفى حلوقهم عطشةٌ إلى شراب يسوغ ، وفى قلوبهم عطفةٌ إلى حُبٍّ يطيب ، أو لعلهم كانوا يتوقون إلى ساعة هادئة يقتلونها على دخان الطُّبَّاق : ولكن أين لهم ذلك وبستور كان يكره رائحة الطباق ، أما الحب والشراب فكيف يجوزان عنده وشياه فرنسا تثغو ثغاء عالياً تطلب الخلاص ممن عنده الخلاص ، فلا يكون لهؤلاء الثلاثة الأرقاء رغم شبابهم مندوحة من اطاعة هذا المجاهد المجنون الذى تعبَّدوا له اختيارا ، هذا المأفون الذى تجمع فكره وتركز كيانه وانحشد عزمه على إيجاد هذا المكروب الذى يقتل بعضه بعضاً . فيقومون بالتخفف من ملابسهم والتشمير عن سواعدهم ثم يقضون الساعات الطويلة إلى جانب مجاهرهم يُحملقون فيها حتى تحمرَّ جفونهم وتتساقط رموشهم . وفى أثناء ذلك يزداد الفلاحون صياحا طلباً للقاح ، ويزداد أصحابنا انهماكا فى تجهيزه فيقعون أثناء ذلك ومن جرائه فى متاعب غريبة لم تكن فى الحسبان : دخلت بعض الجراثيم الغريبة إلى الأحسية مع مكروب الجمرة ، وإذا باللقاح الضعيف الذى يكفى لقتل الفأر صار يقتل الأرنب الكبير . فقام هؤلاء الأبالسة يتعرفون أصل الخطأ حتى عرفوه ، ويتعقبون مدخل هذا المكروب الضال فسدوه ، فيأتيهم بستور بعد هذا كله ساخطا صاخبا . ولم ذا ؟ لأنهم أضاعوا فى هذه التجارب وقتا طويلا ثمينا !

وأراد بستور أن يكشف عن جرثومة داء الكَلَب

كان ليل المعمل هادئا إلا من صوت الخنازير وعراك الأرانب ، أما الآن فقد غطى على هذا وهذا نباح الكلاب المسعورة ، وهى تعوى عواءاً يملأ الآذان وقرا والقلوب رعبا ، ويطير بالنوم عن أعين الأعوان الثلاثة رو وشمبرلاند وتوييه ... لهم الله من ثلاثة ! ليت شعرى ما كان يصنع بستور فى حربه رسلَ الموت لولا هؤلاء الثلاثة

ومضى عام او دون عام على المعجزة التى جرت على يدى بستور فى قرية پويلوفرت Pouilly-to-Fort ، حتى أخذ يتضح للناس أن بستور ، هذا الصياد الماهر فى صيد الميكروب ، ليس إلـهاً معصوما بل بشراً مخلوقا يخطىء ويصيب . وجاءته كتب عدة تراكمت على مكتبه من مونت پتييه Montpothier وعشر مدن أخرى فى فرنسا ، وكذلك من هنغاريا ، وكلها تشكو أن الشياه تموت من الجمرة ، لا الجمرة الطبيعية المألوفة ، ولكن جمرة جاءتها من هذا اللقاح الذى قصد الى خلاصها ، وأتت الأنباء بالسوء من أصقاع أخرى تقص حكايات أخرى عن خيبة هذا اللقاح . ففى بقعة من تلك البقاع اشترى الفلاحون هذا اللقاح ، ودفعوا ثمنه نقدا ، ولقحوا به قطعانا كاملة من الأغنام ، ولما جاء المساء عادوا إلى منازلهم وأراحوا جنوبهم فى مضاجعهم وهم يقولون حمدا لله الذى منَّ علينا برجلنا العظيم بستور ، ثم طلع الصباح عليهم ، فما انفتحت عيونهم حتى وجدوا الحقول

قد غطّتها جثث الشياه النافقة — تلك الشياه التى زعموها حصينة قد ماتت من بزور الجمرة التى تخبّأت فى ثرى هذه الحقول

وأخذ بستور يكره كل صباح أن يفضّ الكتب التى تأتيه إشفاقا على نفسه مما كتب كاتبوها ، وودّ لو سدّ أذنيه فلم يسمع بسخرية الساخر وضحكة الهازىء يأتيه صداها من وراء الأركان . وأخيرا حدث شر ما يحدث له : تقريرٌ خرج من معمل كوخ ، تقريرٌ محكمٌ فى بروده ، دقيقٌ فى فظاعته ، كتبه ذلك الرجل الألمانى القصير الجسيس ، وفيه نَفى أن يكون للقاح الجمرة لدى التطبيق نفع أبدا . وزاد همّ بستور علمُهُ أن كوخ أدق صيادٍ للمكروب فى الدنيا

قطف بستور القطفة الأولى من ثمار تجربته فكانت حلوة طيبة ، ثم أتى يقطف القطفة الثانية فأجزعته مرارتها يقينا . ولكنه ، طيّب الله ثراه ، كان شهما لا يثنيه الحَدَث الجليل . فلم يكن فى جِبلّته أن يعترف للناس أو لنفسه بأن دعاواه العريضة الطويلة ليس لها هذا العرض ولا هذا الطول الذى ادعاه . وكأنى بك تسمعه يتمتم لنفسه : « ألم أقل إن هذه الألقحة تُمرض الشياه قليلا ولا تقتلها ، ثم هى بعد ذلك تحصّنها من الداء تحصينا تاما كاملا ... فهو ذاك ، فلألزمْ ما قلت فليس عنه من مَحيد »

يا له من باحث عظيم ! ومع هذا فما أقل حظه من تلك الصراحة النبيلة التى نسى فيها سقراط نفسه ورابلاس Rabelais ذاته ، فلم تخدعهما عن الحق الظاهر ، ولم تستهوِهما عنه المنافع . على أن بستور لا يلام هذا اللوم كله ، ففرقٌ ما بينهما واسع واضح ، فهذان إنما طلبا الحق على الأسلوب الذى ارتأياه ولم يتطلبا شيئاً سواه ، أما بستور فقد ساقه بحثه رويداً رويدا إلى حيث يفقد المرء لبّه ويُضيّع رشدَه ، إلى صناعة تخليص الأرواح من براثن الموت ، وهى صناعة ليس الحق بأهمّ ما فيها

وفى عام ، ١٨٨٢ بينا التقارير مكدسة على مكتبه تحمل أنباء المصائب الكثيرة من هنا وهنا ، قام بستور وسافر إلى جنيف وألقى على الزبدة المختارة من مجاهدى الأدواء فى العالم خطبة رنّانة موضوعها : « كيف نخلص الأحياء من خبيث الأدواء بحقنها بالمكروبات بعد إضعافها » . وفيها أكّد لهم بستور : « أن المبادئ العامة قد وجدناها فلا يستطيع المرء أن ينكر أن المستقبل مليء بآمال عظام . وصاح فيهم : « إننا جميعاً مدفوعون بعاطفة قوية نبيلة ، هى حب الحق وحب التقدم بالانسانية إلى خير مما هى فيه » . ولكنه وا أسفاه لم يذكر فى هذا الخطاب البديع شيئاً عن الشياه الكثيرة التى ذهب لقاحه بها وقد كان لحفظها وتحصينها

وكان كوخ حاضرا فى هذا الاجتماع ، وظل يَطرِف إلى بستور بعينه من وراء نظارته الذهبية ويبتسم فى لحيته الكثّة كلما سمع بستور يقصف بالجمل الرنّانة ، قد عَمِرت باللفظ البديع وأقفرت من العلم الصحيح . وكان بستور يخطب وهو يحس كأن سيفاً خفياً مُصلَتا فوق رأسه . ولما فرغ من خطابه تحدّى كوخ أن يجادله على رؤوس الأشهاد علماً منه أن كوخ فى صيد المكروب خير منه فى الحِجاج . فقام كوخ فقال : « سأقنع نفسى بالرد كتابةً على السيد بستور ، وسيكون هذا قريباً » . وكحّ ، ثم جلس

(يتبع) أحمد زكى

الحياة الأدبية في دمشق

للأستاذ علي الطنطاوي

لا شك أن (الرسالة) بسموها عن الفكرة الاقليمية الضيقة، وفتحها أبوابها لأبناء العربية جميعاً، ودعوتها إلى الاجتماع على التوحيد فى الدين، والفضيلة فى الأخلاق، والوحدة فى السياسة، والصحة فى اللغة، والجمال فى الأسلوب، والتجديد فى الأدب.. سيكون لها أثر كبير فى تاريخ الصحافة العربية بما سنت من هذه السنة الحسنة التي لم تعرفها من قبل كبريات مجلات مصر إلا قليلا، وبما بلغته من الجمال والاتقان، فى الشكل والموضوع؛ وسيكون لها أثر كبير فى تاريخ الأدب العربى، بما وضعت للأدب من منهج مستقيم، وما أحيت من الأسلوب العربى، وما قبست من روائع الآداب الأجنبية؛ وسيكون لها أثر كبير فى التاريخ العربى العام، بما دعت اليه من الوحدة العربية، وما نشرت من أمجاد السلف، وما وضعت فى نفوس الناشئة من قرائها، من العمل للجامعة العربية الواسعة، لا للاقليمية الضيقة...

ولا شك أن «الرسالة» اليوم للأقطار العربية كلها، لا لمصر وحدها؛ فكما تفتح «الرسالة» أبوابها للمقالات الوصفية والقصصية، وللقصائد والبحوث التي يبعث بها اليها أدباء الشام والعراق وغيرها، فلتفتح أبوابها للفصول النقدية، والبحوث المستفيضة عن الحركة الأدبية فى هذه البلاد، ولو كانت قاسية شديدة على النفوس، ولو كشفت عن حقائق يحب بعض الناس ألا ينكشف عنها الستار؛ وليس من مصلحة الأدب فى شيء أن يظل أدباء مصر والعراق جاهلين مدى الحركة الأدبية فى الشام — مفترين بها — وليس من المصلحة أن يبقى أدباء الشام ومصر جاهلين مدى الحركة الأدبية فى العراق، بل يجب أن يصف أدباء كل قطر من الأقطار الحياة الأدبية فى قطرهم، ومبلغ قوتها أو ضعفها، وسبب تقدمها أو علة قصورها، وأن يحللوا أدواءها وأمراضها، لنتعاون جميعاً على علاجها ومداواتها، وتقويتها وشد أزرها؛ والحياة الأدبية فى الشام أحوج شيء إلى المداواة والعلاج، إذا كان فى الشام حياة أدبية، لها وجود، ولها آثار يستطيع الناقد أن يصفها ويتحدث عنها؛ وأنا أشك فى وجود هذه الحياة، فلا أستطيع أن أجزم بوجودها لأنى لا أرى علامة من علامات الحياة فى أدباء دمشق وأدبها، ولا أستطيع أن أنفيها، لأن فى دمشق أدباء كباراً معروفين، ولأن دمشق — كما يعلم الناس جميعاً — عاصمة من عواصم البيان العربى....

ولقد رجعت أعرض تاريخ الأدب فى دمشق منذ عهد الاحتلال إلى اليوم، وأنظر الآثار الأدبية الخالصة التي أخرجها أدباء دمشق فى هذه الخمسة عشر عاماً، فلا أجد إذا استثنيت مجلتى الرابطة الأدبية والميزان، ورواية سيد قريش لمعروف الأرناؤط، وكتابى المتنبى والجاحظ لشفيق جبرى، ورسائل أئمة الأدب لخليل مردم بك، إذا استثنيت هذه الكتب، وكتابين آخرين أو ثلاثة قد أكون نسيتها، لا أجد أثراً أدبياً له قيمة. وهناك كتب محمد بك كرد على: خطط الشام، والاسلام والحضارة، وغيرها، ولكنها ليست من الكتب الأدبية الخالصة، وإنما هى كتب تاريخ لا تدخل فى موضوع مقالى

على أن هذه الكتب التي استثنيتها ليست فى درجة واحدة من حيث قيمتها الأدبية، فبينا نعد (سيد قريش) عملاً فنياً كبيراً على ما فيها من ضعف العقدة الروائية، وتشابه المناظر، وتكرار الأوصاف، وغلبة النصرانية على أجمل صفحاتها، نعد رسائل (أئمة الأدب) لخليل مردم بك، كتباً مدرسية، موضوعة لطلاب البكالوريا لا تبلغ أن تمد فى الدراسات القوية التي تستند إلى طريقة فى البحث معروفة، وتكشف عن نواح مجهولة من حياة الأديب الذى تبحث عنه ومن أدبه؛ ثم إن هذه الكتب نفسها إذا قيست بمدينة كدمشق، فى مدة طويلة كهذه المدة، لا تعدو أن تكون أثراً ضئيلا لا يدل على حياة.... وهذا الأثر على ما فيه من ضعف ينحصر فى فنين من فنون الأدب هما: القصة التاريخية، والدراسة التحليلية؛ أما سائر فنون الأدب كالقصة التمثيلية، والأقصوصة القصيرة، والصورة الوصفية، والمذكرات الأدبية، والتأملات الفلسفية والشعرية، والدواوين القيمة، والخطب البليغة، وغيرها من فنون الأدب، فلا نكاد نجد لأدباء دمشق فيها أثراً يذكر

من أجل ذلك لم أقل إن فى دمشق حياة أدبية، لأن ما نحن فيه ليس بالحياة ولا بشبه الحياة، ولم أنف هذه الحياة لأن فى

دمشق أدباء ينتجون ، أو يستطيعون أن ينتجوا شيئاً ، وإنما أقول إن أدباء دمشق فى منزلة بين الموت الكامل ، والحياة الصحيحة ، هى السبات العميق ، والنوم الطويل الذى يشبه نوم الضفادع طول الشتاء ، إذ تدخل فى ثقب من الثقوب ، فتلبث الفصل كله كأنها قطع الحجارة ، لا تأكل ولا تشرب ، ولا تنق ولا تتحرك ...

وإلا فما يصنع كتاب دمشق وشعراؤها ؟ وأين هى منتجاتهم الأدبية ؟ وهل يكفى الشاعر أن يقول كل خمسة أعوام قصيدة واحدة تضطره اليها المناسبات اضطراراً ، ثم لا يكون فيها أثر من نفسه ، ولا تصف شيئاً من عواطفه ؟ وهل يكفى الكاتب أن ينشر كل عامين مقالة تطلب منه ، أو مقدمة كتاب يسأل كتابتها ؟ بل هل يستطيع أن يملك لسانه الشاعر فلا يقول شيئاً وهو يرى كل يوم ما ينطق الصخر بالشعر من مصائب الأمة ونكباتها ، بل وهمومه هو ومصائبه وما يشاهده فى حياته فى بيته ، وحياته فى عمله ؟ . أليس فى حياته سرور وألم ، وأمل وقنوط ، وضحك وبكاء ؟ أفيضحك الشاعر فلا يغنى ، ويبكى فلا ينوح ، وتهز قلبه الحادثات فلا يقول شيئاً ؟ أنا لا أستطيع أن أتصور كاتباً أو شاعراً ، لا يكتب ولا ينظم ، وكل ما حوله يهيج نفسه ، ويثير عاطفته ...

إن أدباءنا يحتجون بأنهم لا يجدون مكاناً ينشرون فيه ، وإذا لم يجد الأديب سبيلاً إلى النشر ضعفت همته ، وانكسر نشاطه ، ولم يجد حافزا إلى العمل ، لأن فقد عنصر النشر من أكبر الأسباب فى هذا الركود الأدبى ... وهذا صحيح لا غبار عليه

وليس فى دمشق مجلات أدبية ، إلا مجلة صغيرة اسمها (الطليعة) يصدرها نفر من الشباب المثقفين الذين يحملون الشهادات العالية من أكبر معاهد أوربا ، ولكن لها منحى خاصاً لا يرضى عنه الناس كلهم ، وهى تمشي بخطى مضطربة . وربما اضطر أصحابها إلى إغلاقها كما اضطر من قبل أصحاب (الثقافة) إلى إغلاقها ، برغم أن أصحابها من صفوة أدبائنا ومفكرينا ، كخليل مردم بك وجميل صليبا وكاظم الداغستانى ؛ ثم إن الجرائد اليومية لا تعنى بالأدب عناية كبيرة ، ولا تخصص له صفحات دائمة تنفق عليها بسخاء ، وإن هذه الصفحات الأدبية التى تزين بها صدور بعض جرائدنا اليومية صفحات فارغة ، لا أظن أن أحداً ممن له صلة بالذوق الأدبى يرضى عنها ، وما أظن أن أصحاب الجرائد والقائمين عليها يرضون عنها ، أو يجدون فيها وفاء مما يؤملون . وإذا ألف الأديب كتابا أو قصة لم يجد الناشر ، وإذا أنفق عليها من ماله لم يشترها أحد ، لأن دمشق بلد تقرأ كثيرا ولكنها لاتشترى ؛ وهذه مجلة (الرسالة) ، لا تجد فى دمشق أديباً أو متأدباً إلا اعترف لك بأنها خير مجلة أخرجت للناس ، وأن العالم العربى لم يعرف مجلة مثلها منذ أنشئت أول مطبعة فى مصر ، ولا تجد أديباً أو متأدبا إلا وهو ينتظر يوم الثلاثاء ليقرأ الرسالة ، وبعد ذلك كله يباع من أعداد الرسالة فى دمشق كلها أقل من خمسمائة عدد ...

هذه حجة الأدباء فى تقاعسهم عن النشر ، وهى كما ترى حجة مقبولة ، ولكنك إذا سألت القراء لم لا يشترون ، احتجوا بأن الأدباء لا ينشرون ، وإن تقاعسهم وكسلهم علم القراء الزهد فى الآثار القيمة والانصراف عن شرائها . ، وأنه لا بد من أن يضحى الأدباء بقسط من أموالهم وشهرتهم حتى يستعيدوا القراء الذين فقدوهم . على أن الذنب فى رأيى ذنب المدارس والمدرسين ، لاذنب الأدباء ولا ذنب القراء ، فليس فى الشام اليوم من دروس الأدب إلا هذا القدار القليل الذى يتعلمه الطالب فى مقرر البكالوريا . وهذا القدار لا يحق حقاً ، ولا يبطل باطلاً ، ولا يصنع شيئاً أكثر من تبغيض الطلاب فى الأدب ، وتسويده فى أعينهم ، ذلك لأن شعب الأدب فى صفوف البكالوريا تسير فى طريق عوجاء أبعد ما تكون عن بث الملكة الأدبية فى نفس الطالب . وكيف تكون الملكة الأدبية طائفة من أخبار الشاعر وأشعاره يستظهرها الطالب من غير أن يفهمها غالباً ، ويحتفظ بها فى دماغه إلى يوم الامتحان ، فاذا أداه ونال الشهادة أهملها ، أو دخله الغرور فظن أن معنى (بكالوريوس فى الآداب) كاتب أو أديب ، فزهد فى المطالعة ، وانصرف عنها أو طالع ما يقع تحت يده من الكتب والمجلات حتى ابتلى بسوء الهضم ، وأصيب بالتخمة العقلية ... فترك القراءة وذهب إلى الندى (القهوة) يقطع عمره فى النرد والشطرنج ثم يعمد إلى الكتابة فى موضوع علمى أو فلسفى دونت فيه عشرات المجلدات من غير أن يقرأ منها شيئاً ...

ثم إن طلاب شعب الأدب فى صفوف البكالوريا لايستطيعون

أن يستعينوا بالثقافة العامة التي يتلقونها في المدرسة ، ولا يعرفون كيف يستفيدون من علم الغريزة (الفسلجة) أو علم النفس أو التاريخ في بحوثهم الأدبية ولا يعرفون شيئاً من مناهج النقد ، وقواعد التحليل الأدبي ، لا لأن الطلاب كسالى أو بلداء ، فالطلاب يدرسون الأدب الفرنسي فيسيغونه ، ويدرسون الرياضة فيفهمونها ، ويدرسون أشياء كثيرة غير هذه يضيقون ببعضها ويتبرمون به ، ويقبلون على بعضها ويحبونه ، ويجدون لذلك كله أثراً في نفوسهم ، فاذا جاء الأدب العربي وجدت أكثر الطلاب لم يلذّوه ولم يبق في نفوسهم أثراً

وسبب ذلك أن أكثر المدرسين عاجزون عن أداء هذه المهمة التي انتدبوا أنفسهم لها ، أو انتدبهم لها من بيدهم مقاليد الأمور ، لشهرتهم الأدبية أو لشهاداتهم العالية ، أو لشيء غير ذلك له صلة ضعيفة ، أو لا صلة له بالأدب قط . وأكثر المدرسين اليوم بين رجلين : رجل ثقف الأدب العربي القديم ثقافة حسنة ، وضرب بالسهم الوافر في علوم العربية نحوها وصرفها ، وبلاغتها وعروضها ، ونقدها وروايتها ، وحفظ أيام العرب وأمثالهم واستطاع أن يفهمها حق فهمها ، وينقدها نقد بصير بها ، ولكنه عجز عن أن يدرسها ويدرس رجالها دراسة تحليلية صحيحة لجهله الآداب الأجنبية ، وجهله قواعد النقد الحديث

ورجل درس الآداب الأجنبية أو واحداً منها دراسة عميقة ، وعرف مناهج البحث ، ومذاهب النقاد ، وأحسن نقلها إلى الأدب العربي ، ولكنه عجز عن فهم الشعر العربي ، وجهل علوم العربية ، فغدا لا يستطيع إدراك معنى النص العربي فضلا عن نقده أو الحكم عليه

ثم إن أكثر المدرسين من غير رجال الأدب ؛ وإن فيهم من لم يعرفه الناس شاعراً مطبوعاً ، ولا كاتباً مجيداً ، ولا ناقداً بصيراً ، ولا أكثر من ذلك ولا أقلّ . فكيف لعمري نطالب منه غرس الملكة الأدبية في نفوس الطلاب ؟ إن مثل هذا الطلب هدم للمنطق الذي يقرر أن فاقد الشيء لا يعطيه

***

هذه قيمة الحياة الأدبية في الشام ؛ وهذا موطن الضعف فيها ؛ فلا صلاح لها إلا بتقويته ، ولا نجاح لأمة لا تسخر أدبها لخدمة قضيتها . فهل يبدأ في حياتنا الأدبية « عهد الاصلاح » المنتظر ؟

على الطنطاوى

أزمة أوربا الدينيـــة
فى العصر الحاضر

بقلم محمد جلال

يخيل الينا – كما يرى الكثيرون – أن التصوف هو أظهر حالات النفس وأقدرها على محاسبة الضمير وكشف حقيقته . قال ابن خلدون : « وأصله – أي التصوف – . . . . طريقة الحق والهداية [1] » وقال أيضا : « ويتم (بالمجاهدة) وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الادراك [2] » وقال الأستاذ لالند :

« Le mysticisme est : .., croyance à la possibilité d'une union intime et directe de l'esprit humain en principe fondamental de l,étre [3]

أى أن التصوف هو اعتقاد فى امكان حصول اتحاد تام مباشر بين الروح وحقيقة الانسان . وقال الفيلسوف برجسون :

« Le grand mystique serait une individnalité qui franchirait les limites assignées à l'espèce par sa matérialité, qui continuerait et prolongerait ainsi l'action divine [4]

ومعناه أن الصوفى الحقيقى هو الذى يتخطى حجاب الحس الذى وضعته الطبيعة البشرية ليواصل بذلك العمل الالهى

يتضح من ذلك أن التصوف يحقق شرطى الدين وهما الاعتقاد والعمل . فتلاحظ إذاً أن معظم المتصوفة قد نشأوا فى بيئة دينية إلا القليل منهم من ظل يعمل بعيدا عنه فى الظاهر . ولما كان للروح العلميــة اتجاه يختلف عن الاتجاه الدينى فى كثير من أغراضه وميوله ، مال العلماء إلى التخلى عن الدين ورميه بالنقص . لهذا سنقصر بحثنا الآن على حقيقة الايمان مع اتصاله بالعلم والفلسفة والتاريخ

(١) مقدمة ابن خلدون — طبعة القاهرة ص ٤٠٨

(٢) مقدمة ص ٤١٠

(٣) Lalande : Vocabulaire de la philosophie-P. 496. Paris 1932

(٤) Bergson : Lea deux Sources de la morale etc ... — P. 215. Paris 1912

١ — العلم :

أحدث تقدم العلم فى القرن التاسع عشر اضطرابا فى الحياة الدينية أفضى الى تمحيص الدين على ضوء القوانين العلمية . من ذلك لوحظ أن نظرية خلق العالم فى سبعة أيام — كما هو وارد فى معظم الكتب المقدسة — لم تتفق وقوانين العلم الكونى . فان اليهودية والمسيحية والاسلام ومعظم الأديان الأخرى نشأت كلها فى الشرق فمن المحتمل إذاً أنها تكاد تتحد فى فكرة علمية واحدة . فى فلسطين مثلا ساد الاعتقاد قديما أن الأرض محاطة بطبقة صلبة معلقة فيها الكواكب يعلوها عرش الله الذى يثبت الأرض وما عليها وهو منفصل عنها ؛ ولكن علم الفلك أثبت أن العالم لا نهاية له ، فيكون عرش الله واقعا فى حيز العالم تجرى عليه سنة هذا الوجود من حركة وسكون . أدى هذا الخلاف الى رأيين : الأول اتحاد العلم والدين ، والثانى انفصالهما

أما الرأى الأول فانه يقرر — على رغم ظواهر الأشياء وما فى الكتب المقدسة من اختلاف — أن هناك صلة بين العلم والدين يسهل تحديدها إذا اتفق العلم والدين على معانى الكلمات ؛ فى المثال السابق مثلاً جاء فى التوراة أن معنى كلمة يوم : مدة مقدارها عصر لا أربعا وعشرين ساعة كما نعتقد نحن اليوم ؛ على هذا الاعتبار تكون الأرض قد تم تكوينها فى ستة عصور — وهذا هو رأى علماء الجيولوجيا

ويقول الرأى الثانى إن للعلم والدين أسباباً ودواعى خاصة بكل منهما ، وقد يتفاوت محيط أحدهما بالنسبة لمحيط الآخر دون أن يتعارضا فى شىء . فمقتضى الدين اعتقاد وأمر ثم عمل ؛ وأما مقتضى العلم فكشف قوانين هذا الوجود — بما فى ذلك الانسان — وتحقيقها بالطرق التجريبية . وليس من العلم فى شىء أن تحمل الجماعة على اتباع هذا النظام أو التخلى عن هذا العرف . يستوى عنده البار والفاجر ؛ وبعكس ذلك الدين ، فانه حب وعاطفة ومفاضلة بين بار وفاجر ؛ فهو لذلك ضرورة للنظام الاجتماعى ، وهذا رأى برجسون فى كتابه المشار إليه آنفاً

أفى ذلك طمأنينة للنفوس ؟ قد يكون ذلك . . ولكن ظاهر الشىء غير حقيقته ؛ إذ النفس لا تعرف السكون الذى يُزيِّن لها التخير بين طريق وطريق ؛ فهى إن خضعت للدين بالأمس فذلك من طبيعتها ، وإذا خضعت للعلم اليوم فذلك أيضاً من طبيعتها . وقد لا تخضع غداً لا لهذا ولا لذاك ، وعليه فان هذا التقسيم لم يحقق مأرباً

٢ — الفلسفة :

أما فى الفلسفة فالنزاع قائم بين أنصار مذهب الفكر[1] « Intellectualisme » وبين أنصار مذهب العمل[2] « Pragmatisme » يقرر الفكريون أن الذكاء هو خير وسيلة لفهم الحقيقة الواقعة ، وفى رأى العمليين أنه وسيلة لتكوين صور لأعمالنا نستعين بها على فهم الأشياء

فعند الفكريين (أى معظم فلاسفة الغرب والفرنسيين منهم خصوصاً يتقدمهم ديكارت) تتعين الحقيقة بنفسها ؛ وليس فى مستطاع الفرد — مهما كانت قدرته — أن يحددها دفعة واحدة ، ولكننا نقرب منها شيئاً فشيئاً مع وفرة مجهودنا الفكرى خلال العصور المتطاولة . كان العلم عند اليونان مثلاً مبادىء وأوليات ، وقد ترقى بعض الشىء عند العرب ، وفى عصر النهضة بأوربا ، ومازال يرتقى ويستخلص أسسه من شوائب كانت سبباً فى تغيير معالم الحقيقة التى لم تغير جوهرها بالنسبة لحاجة الانسان

ويرى آخرون أن ليس للحقيقة وجود ذاتى ، فهى محض فكرة دعت اليها حاجة الانسان . فعند اليونان تدل كلمة حقيقة على شىء نسبى — أى أن حاجة الانسان الفكرية تتطلب حقائق مختلفة حسب الزمان والمكان ، وهى بدورها تحقق رغبة علمية واحدة ؛ وبما أن حاجة الانسان غير ثابتة فتكون تلك الحقيقة أيضاً غير ثابتة ، وذلك لاختلاف وسائل تحقيقها . فمطرقة الحداد مثلاً كانت حقيقة فى الماضى — كذلك مطرقة النجار هى حقيقة اليوم ، ورغم ما أثبته العلم والعمل حتى عهد قريب من صحة نظرية نيوتن الخاصة بتجاذب الأجسام ، فان أبحاث اينشتين تثبت حقيقة أخرى بعد ما هدمت الأولى ؛ أعنى أن هناك تناسباً خاصاً فى الحياة الفكرية لكل عصر ؛ ولا غضاضة

(١) مقابلة لكلمة روحيين « Spiritualistes » كما جاء فى مقدمة ابن خلدون — ص ٣٥٣

(٢) استعملناه مؤقتاً إذ لم نعثر بعد على اصطلاحه فى المراجع العربية

إذا أقبلنا بجميع جهودنا على تلك الحقيقة المتغيرة فهي لم تتحدد بغير منفعتها

مثل وليم جيمس[1] هذا الرأي في أمريكا - وأخذ برجسن ببعض منه ، أي الجزء الخاص بتطور الفكر[2] ، وتبع المسيو ادوار لروا أستاذه برجسون في ذلك إذ رأى أنه يصعب على الرجل العملي فهم الدين من الوجهة المنطقية . وعليه فان عبارة « الأب والابن وروح القدس » معناها تصور حقيقة وائمة تنشأ عن ارتباط الفرد بغيره . ويقال مثل ذلك في تفسير وجود عبادة الله وحده - أي كونه ماثلا حقيقة روحاً ودماً (عقيدة سر القربان عند المسيحيين) ؛ ويراها آخرون أنها صيغة أمر ، أي وجوب تصور حالة العبد أمام ربه كما يجب أن يكون عليها أمام انسان يرى فيه أصل الحب والتقديس . هو أصل اليقين والشعور الطاهر ، وقال بمثل ذلك الأب سرتلانج Sertillanges الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بفرنسا في إحدى جلسات مجمع باريس الديني الأخير إذ رأى أن أوضاع الدين لم تكن غير نواميس للحياة

٣ — التاريخ

شك علماء التاريخ في مصادر التوراة ، لأن فيها أجزاء وضعها قديسون ، وقد نُقحت من بعدهم . وللآن لم يستقر الأمر على معرفة كيفية حصول ذلك لعدم توفر الوثائق التاريخية الكافية ؛ فلا يبعد إذن أن يكون قد وقع فيها بعض التغيير أو الحذف . مثال ذلك أسفار موسى الخمسة فانه لم يزل أمرها غامضاً حتى اليوم . يوجد عدا هذا بعض تناقض في الآيات من حيث الصورة والمعنى . آمن[3] عيسى عليه السلام في عودته ثانية إلى الارض ، وإن الساعة آتية قبل أن ينقضي العهد الذي نزل هو فيه

يلاحظ هنا تباين نشأ عما رمز اليه في التوراة من أعمال دنيوية ، إذ انقضى عهده وانتهى النظام الوراثي للملك وهو لم يعد بعد . أدى هذا الاعتراض إلى احداث انشقاق في الكنيسة الكاثوليكية في أواخر القرن التاسع عشر . أخذ رجال الكنيسة من جديد يدرسون الانجيل من حيث التاريخ والجغرافيا والتشريع ، وقد قضى الأب لوازي Loisy حياته في التوفيق بين الدين والتاريخ

نشأ عن تلك الحركة اتجاه جديد في الرأي سمي بمذهب « المثل الاعتقادي » Symbolofidéisme يرى أخذ الأشياء على أنها أمثلة بسيطة شأنها أن تحدث معتقدات تتناسب مع قوة إيمان الفرد ؛ فيكون مرمى نظرية نزول المسيح تحديد قيمة مثلى

على رغم كل ذلك ما زال في النفس بقية تدعوها إلى كشف معتقد جديد وحقيقة أخرى ، فيرى برجسن وهنري بوانكاريه H. Poincaré أن العقل غير كاف وحده لكشف الحقيقة التي دأب وراءها الانسان منذ نشأته . فلا بد له أن يتبع هدى روحه كما فعل أفلاطون وغيره

ويرى أوجست كنت وأتباعه أن الدين نظام اجتماعي قابل للتطور مثل الجماعة في تاريخها من تشريع وأخلاق . ويرى الأستاذ شارل مورا Charles Maurras ضرورة الدين الكاثوليكي لاصلاح النظم الاجتماعية في فرنسا لما فيه من عناصر السلام

ماهي حالة الفرد النفسية إزاء ذلك الانقسام ؟

***

عبر علماء النفس عن ذلك بأنه شعور جديد بشخصية الفرد يدعوه إلى تحديدها من حيث اتصاله بالجماعة ، ومن حيث اتصاله بنفسه ، مما أدى إلى ترك بعض المعتقدات والتمسك بأخرى . ولما كانت الجماعة تحمل في ماضيها عناصر مدنيات مختلفة فهي إذاً الدافع إلى هذا الشعور في الفرد . ويختلف الأفراد في قبول ذلك حسب استعدادهم النفسي ، وهذا ما نشاهده في القديس بولس إذ اضطربت نفسه متأثرا بعصره ، فخرج على الدين ثم عاد اليه متحمساً لتجديده ، وذلك بالدرس والمجاهدة النفسية

يرى بعض رجال الدين أن مثل هذا النوع من المجاهدة محاولة من العبد أن يتصل بالله ليظفر بالغفران . ولكن بعض أتباع لوثر ليسوا في حاجة إلى ذلك ، إذ الغفران في رأيهم ملك للجميع ، وثقتهم بالله عظيمة لتوزيع هذا الغفران ، فلم يكن عندهم إذاً هذا النوع من المجاهدة

وهناك فريق آخر يقال لهم الوصوليون Methodistes وغايتهم فعل الخير لأنهم مجبرون عليه ، وهذا عمل خالٍ من الشعور

(١) William James : La Philosophie de l'experience. Tr. fr. 1910

(٢) H. Bergson : L'Evolution Créatrice. Ch. 3. Paris 1928

(١) ٣ — انظر العهد الجديد — أعمال القديسين — اصحاح ١ — طبعة كبردج سنة ١٩٢٨

بين الماضي والآتي

للاستاذ أديب عباسي

« وصلنا عدد (الرسالة) المائة والسادس والعشرون ، وقد انتهينا إلى جزء هذه المقالة الأخير . وكم كانت دهشة المفاجأة إذ فضضت غلاف الرسالة ووجدت بين بحوثها مقال الأستاذ الكبير أحمد أمين (أمس وغداً) . وكانت بادرة الفكر التى تلت دهشة المفاجأة أن أهمل الموضوع وأوفر على نفسى عناء المراجعة والتنقيح . ولكننى عدت وقلت قد أكون طرقت الموضوع من ناحية غير التى طرقها الأستاذ ، وقد أكون على خلاف معه فى الرأى أو بعضه . وقرأت المقال فوجدت أننا نسير والأستاذ بعض الطريق ونفترق فى بعضه الآخر . ومن أجل هذا الافتراق أبعث بمقالى هذا إلى (الرسالة) العزيزة »

تمرُّ بزمرة من الشيوخ خلوا الى أنفسهم وأرسلوا أحاديثهم ارسالا لا تحده موضوعية البحث الجدى ، ولا اندفاع العاطفة الثارة ، ولا عصبية الجدل ؛ فتكاد لا تحسُّ فى حديثهم إلا اللهفة العميقة ، والالتياع الشديد على الزمن الفائت ، حيث اللذة لا يكدرها ألم ، والصفو لا يرنّقه كدر ، وحيث النعيم أبداً مقيم ، والمنى أبداً حُفَّل دانية ! وينبثُّ اليك من صدق اللهجة واجتماع الرأى وخلوص النيـة فى حديثهم ما يوحى بأن أعصر السعادة المطلقة قد تلكأت عند شبابهم ، وترخّصت فقط لماضيهم ، فأقامت ثمَّ لا تبرح ولا تريم ؛ لهذا أمحل الحاضر ، وعقم المستقبل ، وغادر الناس طيب العيش وبشاشة الأمل !

تسمع هذا وخلافه مما تفيض به بقايا العمر وأعقاب السنين من الشيخوخة ، فتتدسّس اليك الحسرة ويغمرك الألم ان تأخر بك الزمن ، ولم يحشرك فى زمرة الشيوخ هذه ، ويجملك فى حشدهم ، فيكون لك من السعادة مثل ما يتحدثون ويصفون

وتقودك رجلاك من حيث أنت الى زمر أخرى وأفراد آخرين ، بعضهم ما يزال – فى رأى نفسه – يستعدُّ لخوض معركة الحياة ، وبعضهم الآخر – كذلك فى رأى نفسه – قد أعدَّ لها العـدَّة ، وهيأ السلاح ، فهو الآن يخوض غمارها ليصطلى بنارها ، أو يستاف المطر الذكى عن أزهارها

وتقف تتسمع ، فما يروعك من هذه الزمر مثلُ انشغالها بمستقبلها عن حاضرها ، وغفلتها عما فى اليد الى ما يمنيها به الغد ، كأن حياة اليوم ليست فى العمر ولا فى تقدير الزمن ، وبعضون هذا المضى ، الغفلةُ عن حاضر الحياة غريبة مدهشة ، والثقة فى المستقبل قوية آسرة ، ويظلُّ هذا دأبهم الى أن يؤذّن بركود الشباب ، ووشك الانخراط فى سلك الشيخوخة المتهدمة . عندها – وعندها فقط – يصحون ، ولكن لات ساعة صحو

وهنا ينقلب الوضع وينكفئ الاتجاه ، فتحل الذكرى القريبة أو البعيدة محل العزم ، والركود محل النشاط ، والعجز محل القدرة ، وهكذا بين ماضى الحياة وآتيها ، يُسقط الناس كل رصيدهم فيها ، ويجعلون منها – على حد تعبير الرياضيين – الكمية المهملة

وليست هذه الصور التى رسمنا بالصور الخاصة أو الطارئة طروءاً زائلاً ، إنما هى صور لها من طبيعة الشعور وخصائص الاحساس ما يجعلها من ألزم الصور للحياة وأكثرها لصوقاً بها وشيوعاً فيها . فالشيخ ، أو من كان فى حكمه من شبان السنين ، يتّجه إلى الماضى ليلطف عنده مرارة الحاضر ، وليتعوض بذكراه عما يفيته العجز وضعف المُنة من لذائذ راهنة يراها ولا يرى السبيل إليها كيف يكون . وقد تقول : لم يؤثر الشيخ أن يرتد بخياله إلى ماضى العمر ولا يرى أن يرسله فى مطاوى المستقبل ليلتمس عنده الفرار وينشد السلوان ؟ والجواب سهل هين إذا علمنا أن خيال الشيخ يخونه هنا ، كما يخونه كذلك منطق الواقع ومنطق الاحتمال . فالشيخ يدرك أن سبيله من بقية العمر هى سبيل نازلة لا صاعـدة ، وأن كل يوم يمضى يدنيه من النهاية ويقلص لديه بقايا الأمل وأصداء السعادة ؛ وإذاً فالحاضر فسحة مسدودة ، والآتى سبيل مظلم مخيف ؛ أما الماضى فهو السبيل الوحيد الذى يستطيع أن ينساب فيه الخيال دون أن يشله برد الواقع أو تروّعه بشاعة الحاضر

بالاتجاه نحو الله كما رأى ذلك رينان Renan

عرضنا فى تلك الكلمة الموجزة نشوء بعض تطورات الدين بأوربا ، مما يدعونا الى الاعتقاد أن هناك عوامل أخرى أدت الى تلك الاختلافات الطائفيـة غفل عنها رجال الدين والفلاسفة ، وهى التى دعت علماء الاجتماع للتعبير عنها بطريقة أخرى غير ما سبق . وذلك موضوع كلمتنا القادمة

(باريس) محمد جهول
بجامعة باريس

وقد تسأل : ألم يكن فى ماضى الشيخ الألم كاللذة ، والنعيم كالشقاء ، والحرمان كالأنالة ؟ فكيف يؤثر أن يعيش فى ماضيه دون حاضره وآتيه ؟ وهنا نرجع إلى حقائق الشعور الراهنة ، فيستبين لنا أن الألم الفائت يفقد قيمته مع الزمن حتى لا يبقى منه إلا ذكراه وصداه . وهذه الذكرى - إذا لم يصحب أسباب الألم عند نشوئه حالات ملازمة - تضحى باعثاً على الاطمئنان والراحة . فأنت إذ تفقد كل ما تملك أو تصاب إصابة جائرة فى سمعتك أو تجاس إلى حبيب إليك علّقه المرض بين فكى الفناء والبقاء ، تشعر بالغبطة وانفراج الشعور بزوال الخطر ، حينما يعوض عليك السعى بديلاً من مالك ، وحينما يردّ إليك الوضع العادل سمعتك ، وحينما يتخطى غول الفناء حبيبك فيرده إليك سليماً معافى تنعم بلقائه نعمتك بكل عزيز عليك . وعليه فتلك الأحداث التى كانت يوماً ناراً يقلب عليها الاحساس ويضرّم الشعور أضحت بعد زوالها مجلبة للراحة والاطمئنان ، فلا عجب إذاً من ارتداد الخيال إلى الماضى وعكوفه عليه

بيد أننا لا ننكر أن ثمة عللاً أخرى غير ما أسلفنا لهـــذا العكوف من الشيخ على ماضيه وانصرافه اليه عن آتيه وحاضره : منها أن الشيخ إذ يرتدّ إلى ماضيه يُسيِّر الشعور فى مسارب أضحت بتكرار الحدوث ممهدة لا تعترضه فيها عقبة ولا تتصدى له عثرة . ومن هنا فكرة « الماضى السعيد » عند الشيوخ ، ومن هنا أيضاً ميلهم الميل الشديد إلى المحافظة وإبقاء القديم على قدمه وتجنب كل جديد يصدم الشعور ويدعو إلى تحويله من مجراه المعتاد

ومن هذه العلل أيضاً ذهاب الرفقة وتخطّف الموت أبناء الجيل الواحد ، بحيث يجيء اليوم الذى يشعر فيه الشيخ انه غريب فى بيئة غريبة ، فيزداد حنينه إلى ذلك الرهط الذاهب من جيله ، فيستعيد بخياله ذكراهم المحبّبة وأيامه وأيامهم الحافلة

يضاف إلى هـذا لون معهود من ألوان الدفاع عن النفس بتهوين الحرمان عليها وطلب العزاء لما عنه فى الماضى ؛ وهو نوع من أنواع تخدير الاحساس ينشأ أول الأمر فى دائرة الوعى ، ولكنه مع الزمن وتوالى الحدوث والتأثير يتسرب إلى دائرة العقل الباطن ويتخفى فى تيه اللاشعور . وعندها يصدر ذمّ الحاضر عن عقيدة وينطلق عن يقين . وهذه الظاهرة تبدو أجلى وأوضح فى حياة الجماعات منها فى حياة الأفراد . ومن هنا أن الأمم كلما أهمل حاضرها وازداد تخلفها عن غيرها من الأمم ازدادت حفولاً بالماضى وتفطناً اليه وعكوفاً عليه . ولعل عبادة السلف عند بعض الشعوب ترجع فى معظم الأمر إلى هذا الميل النفسى العميق

* * *

ونعود إلى صورة الشعور كما يرسمها طماح الشباب ويحددها أمله ، فنجد أن الشاب إذ يتجه فى أمانيه وأخيلته وعمله إلى المستقبل ، إنما يجرى على طبيعة الشعور وبموجب قواعده . فالحاضر لدى الشاب الذى لم يحدد الضعف وقصر المجال وضيق المضطرب أمله فيه وحدود مسماه ، هو مرقاة منها يرقى إلى غيرها . وإذاً فحاضر الحياة من الشاب هو الدرب ، والمستقبل الافق ، ما يفتأ متجدداً مغرياً بالسعى والسير ما بقيت فى النفس حوافز السعى والسير . ثم ان حاضر الحياة مزيج من الخير والشر واللذة والألم والنجاح والفشل . أما آتيها فهو كما يرسمه الخيال ويحدده الأمل ، خير ونعيم ونجاح . أما الماضى فقد كان يكون من خياله ما يكون من خيال الشيخ لولا أن صورة المستقبل صورة قوية رائعة لا تدع للتفكير فى الماضى الا ما يدعه القوى للضعيف . وعلى كل فقد ترى من الشباب من ينزوى عن مستقبله ويتجه الى ماضيـه ، إن يكن له ماض ، فعل الشيوخ الذين غادرهم الأمل وأحالهم الكبر

هـذا تحليل مجمل لصور الشعور فى ثلاثة أطوار الحياة وفى أزمنتها الثلاثة ، لا نعتقد أننا نتحكم فيه أو نفرضه فرضاً على القارىء ، لا سيما اذا أزلنا من الصورة جانبى المبالغة والاغراق من تفاؤل رخيص يجمل الحياة ابتسامة طويلة كاذبة ، وتشاؤم عبوس دائم التقطيب ، كما يتمثلان فى حياة نفر من الناس ، شأنهم الحقيق من الحياة شـأن الهامش من الصحيفة ، فيها وليسوا فيها

مما وصفنا ترى جلياً ان حاضر الحياة - وهو كل حقنا فيها - لا ينال من فطنة الشعور إلاّ قدراً ضئيلاً عابراً إذا قيس بما يملأ أخيلتنا ويكظها من صور الماضى والآتى

وقد تقول : ماذا علينا - إذا كان هذا هو الحال - لنخلّص الحياة من هذا العبث الذى يضيع فيه العمر بين لهفة على الماضى وغفلة عن الحاضر واستشراف للمستقبل ؟ وجوابنا ان من طبيعة

الحياة أن يمازج فيها الخير والشر وتساير اللذة الألم ، وانه يستحيل أن تكون الحياة خيراً كلها أو شراً كلها ، وانه لهذا أضحى واجباً أن يقبل عليها الناس اقبالاً لا يفيتهم ما يتيسر لهم من نعيمها ، ولا يفيتهم - كذلك - النظر إلى المستقبل والسعي في سبيله ؛ ولن ينقص نظر الناس إلى المستقبل من استمتاعهم بلذات الحاضر إذا عرفوا كيف يحسنون السير في سبيله سيراً معتدلاً حتى لا يضحى مشغلة لهم تزحم حاضر الحياة على نصيبها الذي يجب أن يكون لها من وعي الشعور ، بل نحن نعتقد أن المرء يتيسر له من سعادة الواقع ، مع السعي السليم والتطلع إلى المستقبل الذي لا يقطع المرء من حياته الحاضرة ، أكثر مما يتيسر له حينما ينقطع عن ماضيه وآتيه ليكب على الحاضر وحده يرضع فيه اللذة ويترشف النعيم على الطريقة الخيامية

وهذه الحالة السليمة من الشعور لا تحل حلولا مفاجئاً ، كما يحل الوحي ، ولا تجيء بالسعي الهين أو المعتدل ، انما هي حالة تقتضي السعي الأكيد ، والتعاون الشديد ، من جميع مصادر التوجيه النفسي . ولعل البيت والمدرسة يفوقان في هذا الشأن جميع مصادر التوجيه الأخرى في طول مدى التأثير وعمقه ، فالبيت والمدرسة يستطيعان أن ينشئا الجيل الذي لا يقتله الفشل فيرتد الى الماضي يخدر فيه الشعور ، ولا يستخفه النجاح ، فيستعبده المستقبل ويستذله . ويكون ذلك بأن يتعاون البيت والمدرسة على تعويد الطفل بالتلقين والايحاء تلقي مؤثرات الحياة برحابة في الصدر ، وتوطين للنفس على خير الحياة وشرها على السواء

ويساعد على تكوين هذه الحالة السليمة من التصور مثل التربية الاستقلالية التي يربيها أبناء الأمم السكسونية ، حيث يتخذ الألم معنى الواقع الذي لا بد منه ، واللذة معنى الخير يجيء بالسعي ، فلابد من تذوقه واستمتاعه إلى أقصى حدود الاستمتاع

ويجب كذلك أن يتعاون البيت والمدرسة تعاوناً حكيما في الحد من أنانية الصغار الصارخة ، وإفهامهم أن فرص النجاح ليست وقفاً عليهم وحدهم ، وأن غيرهم لهم من حق النجاح مثل حقهم ؛ فلا تمضي حياتهم آمالاً مخيبة ، وآلاماً موصولة

كذلك على المدرسة والبيت أن يعودا الناشئ كيف يقف من حوادث الحياة موقف الحياد والاستقلال في التقدير ، ومن نفسه موقف المحاسبة والتحليل الدقيق للأوضاع التي تسوقه اليها ماجريات الحياة . بذلك يكتسب ثقة في النفس وتقديراً عادلاً للأوضاع ، يريحانه من خصومة النفس وغربة الوضع وغرابة الاحساس ...

ومن واجب البيت والمدرسة - كذلك - أن يعتاد الصغار تقدير آلام الغير ويستيقنوا أن الناس يتألمون كما هم يتألمون ، وأن ما نشاهده من ظاهر السعادة عندهم هو في أغلب الأحيان دون ما نقدر ونتوهم

ومن أول واجبات البيت والمدرسة أن ينشئا الصغار على التفطن إلى جميع مظاهر الجمال وتذوقه في الطبيعة والحياة والفن ، فان في ذلك توسيعاً لمدى اللذة وتغليباً لأسباب السعادة على أسباب الشقاء

وأخيرا يجب على البيت والمدرسة أن يفقها أن عملية التربية ليست إعداد المرء للحياة كما تصر نظم التربية القديمة ، إنما هي - كما يقول جون ديوى - فيلسوف النزعة الحديثة في التربية : « الحياة » بذاتها ؟

أديب عباسي

الرابطة الثقافية
بين مصر والشرق العربي
دعوة الى توثيقها
للأستاذ رفيق اللبابيدي

أحب أن أقرر أولاً أن الأمة العربية مهما تكن شتى فى نوازعها السياسية ، هى أمة متماسكة ذات وحدة أو كيان واحد فى ثقافتها وفى تفكيرها

وقد اختلفت على هذه الأمة أدوار من الزمن ، كما اختلفت فيها أطوار من التاريخ ، وكانت تجتمع كلما حزبها أمر من الأمور عند هذه الوحدة الفكرية فى قوالب شتى ، فالدين كان ولا يزال واحداً ، واللغة كانت ولا تزال لغة واحدة ، والخوالج النفسية العامة واحدة ، والأدب فى مقاييسه ونوازعه كان واحداً ؛ ولو عدنا رَجْعَنا إلى التاريخ وقلبنا صفحاته ، لوجدنا أن الأقطار العربية كانت تجتمع عند الاحتفال بالشاعر النابه والأديب مهما يكن موطنه ومهما تكن نزعته ؛ وقد كان الشعر أو الأدب يطوفان فى أرجائها يحملان اسم الشاعر أو الأديب طواف الفكرة الدينية أو المذاهب الفقهية ، أو النحل الشتى من بلد إلى آخر ، أو من قطر إلى قطر

وبينا كانت هذه الأقطار تسودها النزعات السياسية المتباينة كانت تفسح صدورها للآراء الدينية والمذاهب الكلامية ، والاستنباطات التشريعية ، تتسرب اليها عن طريق السفارات العلمية بارتحال العلماء فى مختلف العصور

وفى بغداد ، وفى دمشق ، ثم فى القاهرة ، وبين هذه العواصم التاريخية العريقة فى تاريخنا الواحد وماضينا أمثلة صادقة تسجل هذا الاتحاد الثقافى أو هذه الرابطة العلمية ، وإن تكن فى غير ما نألفه الآن من وسائل يسرتها عوامل الرقى ، وسنن التطور

ولقد كانت رحلات الفقهاء ، وجماعات الأدباء ، ورجالات التاريخ من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب توثق من عرى هذه الروابط فاجتمع للعرب من هذا تراث واحد يمثل ذلك الاتجاه الفكرى ، وإن تكن قد اختلفت طرقه إلى النتائج ، وتباينت وسائله فيها ؛ ومذاهب الفقه ، والنحل المبسوطة فى المدونات والمظان التى تسربت إلى المغرب الأقصى والأندلس فى أيام ازدهارها ومن هذه إلى الشرق ـ لونٌ من ألوان هذا الاتجاه كما كان من قبل ذلك للأدب سفاراته فى طواف الشعراء والكتاب من دولة إلى دولة ، ومن أقليم إلى آخر ، ولم تستطع الأحداث السياسية أن توهن من هذه الروابط أو تفلّ منها ، وإن استطاعت بعضَ الاستطاعة أن تعوق وسائلها ، وتقف تقدمها ؛ على أنى لا أزعم أن أثر هذه الأحداث لم يكن قوياً ، ولكنى أجيز لنفسى أن أقول إن هذه الرابطة لم تضعف بالرغم من هذه الحوائل ، بل صمدت لها حتى اجتاحها الزمن ، وانطلقت الأقطار العربية من عقالها فعادت إلى طريقها الأولى ماضية فيها تساير أطوار التاريخ رفعة وضعة ، سنة الله فى الكائنات جميعها

* * *

ولمصر فى نهضتها العلمية والأدبية الآن يد لا تُجحد على الشرق العربى ؛ ففى صحافتها روح قوية توحى بهذه الرابطة التى لم تنهزم أمام أحداث الزمن ، وفى نتاج بنيها النابهين ، وعلمائها ومعاهدها وما تخرجه المطابع من مختلف الكتب والمؤلفات ، وما يظفر به القراء فى الأقطار العربية من ثمرات هذه الجهود المشكورة — ما يُحِلّ مصر الكريمة محلّ الزعامة المختارة المصطفاة ؛ والشرق العربى أحوج ما يكون اليوم إلى توثيق الروابط بمختلف ألوانها وأشكالها منه فى آونة أخرى ؛ فقد تدافعت هجمات الأحداث عليه من كل جانب ، وما أشده حين يكون كتلة واحدة على دفعها ، وما أهونه عليها حين تتسع شقة البين فى روحه وفى تفكيره بين بعضه وبعضه الآخر ؛ وأقول فى كثير من الاطمئنان إن دعامة هذه الجبهة الشرقية القوية لا تقوم إلا على وحدة فى الثقافة ترتكز على رابطة متينة بين الأقطار العربية وبين مصر الزعيمة

وبعد ، فلست أقترح رأياً فطيرا لا يدعمه البحث أو الأخذ والرد بين الأدباء والقائمة على هذه الرابطة ؛ ولكنى أقدم

بين يدى هذه العجالة كلاماً يصح أن يكون دعوة الى خطوات تمهيدية لمعالجة هـذا الغرض المنشود ، ويشجعنى على القول أن الأستاذ الزيات فى زيارتى الأخيرة له فى دار (الرسالة) ، قد ارتاح الى ما بسطته من رغبة فى توثيق هذه العرى الثقافية ، وتمهد أن تقوم الرسالة بالسفارة الأدبية بين أشياع هذه الرابطة

وايمانى ازداد رسوخا بنجاح هذه الفكرة أو هذه الدعوة ، حين تحـدثت بها إلى أكثر من أخ من اخواننا هنا فى مصر ، وهناك فى سوريا وفى فلسطين ؛ وأعتقد أن الحاجة ماسـة الى زورات علمية يقوم بها شباب متثقفون مؤمنون بفكرة هذه الرابطة الثقافية بين الآونة والأخرى ، لا يكون الغرض منها متعة النفس فحسب ، بل يكون مع هذا اتصال وثيق بين البيئات العلمية والأدبية هنا وهنالك باعداد بحوث تبسط فيها الأحاديث فى الشؤون الاجتماعية والأدبية والعلمية ، وأن تكون من ثم حلقات فى كل بلد من البلدان العربيـة تضع لها ميثاقا واحدا ينتظم الجهود الثقافية فيها ، مع الحرص على ما للشرق من تقاليـد تفرضها أو تحتمها أوضاع الـكيان القومى ، فقـد أخر الشرق كثيرا هـذا الاقتباس المشوه عن الغرب فى أكثر من ناحية من النواحى التى لا تتفق مع تقاليده وروحه ، وحالت دون أن يكون له لون من ألوان الامتياز الاجتماعى والأدبى والاستقلال العلمى الى حد ما يحفظ كرامته . واتجاه الشباب المثقف فى مختلف الأقطار العربيـة يكاد يكون متأثرا بأوضاع شتى ونواح كثيرة متباينة ، وهـذا يوسع من شقة الخلاف ، ويباعد على الزمن بين ماورثناه من هذه الروابط ؛ ذلك لاختلاف الثقافات ، واختلاف المناهج التى تفرضها هذه الثقافات ؛ وقد يجوز أن يكون مثل هذا فى الشرق العربى لو كانت اللغة غير واحدة ، أو لو كان التاريخ غير واحد ؛ ولـكن الأمة العربية مهما تباعدت سياسياً ، أمة تراثها واحد روحا وتقاليد ؛ فيجب أن يكون اتجاهها واحداً فى الثقافة حتى يظل لها هذا التماسك القوى المتين

فتنظيم هذه الرحلات بين الشباب المثقف وسيلة من الوسائل لتكوين هذه الحلقات الثقافية فى الشرق العربى أو خطوة أولى الى توحيد الاتجاه الثقافى فيه ، وتلى هذه الخطوة مرحلة أخرى تكون بعقد المؤتمرات الأدبية وتناول ما تقترحه هذه الحلقات من اتجاهات قوية فى النهضة الأدبية والاجتماعية ، ووراء هاتين المرحلتين مراحل تقترح ليس هـذا مجال بسطها ؛ وبين يدى الأستاذ الزيات صاحب الرسالة وشباب مصر المثقف هذه الدعوة ، ولعلنا الى تحقيق هذه الأمنية واصلون

القاهرة — رفيق اللبابيدى

مشروع علمى جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنـة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أو أدبياً ؛ وترمى بذلك إلى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة فى الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربيـة والطبيعة والـكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلـكت فى ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحية ، وأحياناً تؤلف فى الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربى

وقد بدأت هذا الشهر فى اخراج أربعة كتب :

(الأول) عرض تاريخى للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عامة فى تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثانى) الآراء الحديثـة فى علم الجغرافيا تأليف ل . ددلى ستامب وتعريب الأسـتاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثالث) سكان هـــذا الـكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أسـتاذ الجغرافيا فى الجامعة المصرية يبحث فى سكان الـكرة الأرضية من بنى الانسان من حيث نشأة النوع البشرى وتعدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم فى مختلف الأقطار . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

(الرابع) كتاب «البراجماتزم» أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام . وثمنه ١٥ قرشاً صاغاً

رسائل حاج

٢ - من ربوع الغـــرب إلى بلاد العرب

للمستشرق المجرى
الدكتور عبد الكريم جرمانوس
أستاذ التاريخ بجامعة بودابست

وشعرت وأنا أجتاز دهاليز الأزهر وأستقبل لأول مرة أروقته وحلقات دروسه بنوع من الرهبة والخشوع والتسليم. فهذا المعهد العظيم موئل الاسلام ومعقـــله، ومنبع الثقافة الدينية، وحامى حمى اللغة العربية. كان من أسمى أمانى أن أندمج فى سلك طلابه. وكم كنت فى شـوق لاهف إلى أن أنهل من ينبوعه الفياض روح الاسلام الحق، وأضيء شمعة معرفتى الخافتة بحيث تتحول إلى شعلة وقادة، وإلى حماسة فائقة داخل جوانحى، وأتعرف إلى شـيوخه الذين يقودون العالم الاسلامى بآرائهم وأفـكارهم، كما كنت على يقين وثقة أننى بمعاونة هؤلاء العلماء الفطاحل سأمضى فى ترجمتى للقرآن الكريم إلى اللغة المجرية بحيث أجعلها فى متناول آلاف المسلمين من مواطنى

ومع أن هذه الترجمة كانت عملاً شاقاً مضنياً، فانى كنت أحس من أعماق روحى أنها فرض واجب على كمسلم مخلص يريد أن يعلى منار الاسلام ويطمح فى أن يضيف لبنة صغيرة إلى صرحه العظيم

وخيل إلىّ وأنا فى نشوة روحيـة عميقة أنى بدأت أظفر ببغيتى وأجزى خير الجزاء عن تلك الليالى الطويلة التى لم أذق فيها طعم الـكرى، بل أمضيتها منكباً على دراسة الاسلام وتفهم قواعده وأصوله، وأن كل ما حاق بى من مصاعب سيتبدد، وفشلى سيتحول إلى فوز عظيم وانتصار رائع بمعاونة شيوخ الأزهر ومدهم يد المساعدة إلى عملى المتواضع

ولـكننى رأيت والأسف يملأ جوانحى أن آمالى تنهار دفعة واحدة بحيث أصبحت عاجزاً عن خدمة الغرض الأسمى الذى خصصت حياتى له. علمت بأن هناك وشاة أوعزوا إلى الشيخ الظواهرى بأننى دخيل أرمى إلى الوقوف على أسرار الاسلام وإذاعتها فى البيئات العلميـة فى أوربا! وعلى الرغم من الظنون والشبهات السيئة التى حامت حولى بذلت جهداً عظيماً لمقاومتها؛ وكان رائدى فى تلك المقاومة أن الحق على الدوام فى جانبى، وقد كانت سـيرة المرحوم الامام الشيخ محمد عبده وما لقيه من خصومة صماء خفية، وانتصاره على خصومه أكبر مشجع لى فى الثبات أمام حجة خصومى. وقلت لنفسى: أين أنت أيها المصلح العظيم لترى كيف ابتعد الأزهر عن مبادئك العالية، وتجاوز عن رسالتك الرفيعـة التى سموت بها فوق الأغراض الوضيعة والمطامع الدينوية والمنافع المادية

وعلى الرغم من جهادى الضعيف فى مقاومة خصومى، ما كنت لأستطيع أن أبرهن لفضيلة الشيخ الظواهرى على اخلاصى وحبى للدين الحنيف، وأنى لست دخيلا، ولـكننى رجل يؤمن من أعماق روحه بالرسالة المحمدية النبيلة، وأريد أن أحصل على معاونة رجال الأزهر للوقوف على تعاليم الاسلام، مع علمى بأن هذه الشريعة السمحاء ليس بها أسرار يمكن اذاعتها فى البيئات العلمية، لأنها ديانة مؤسسة على ثقافة ثابتة مكشوفة للعالم لا تميز فيها بين الأجناس والألوان. وليس الأزهر سوى الجامعة الاسـلامية الحق التى تضيء شعلة الحق، فلا أسرار فى جوانبها يمكن اخفاؤها عن رجل أجنبى مهما كانت صفته. ألا يعاقب الله كل مسلم يرمى أخاه بالشرك والـكفر والتشكك فى عقيدته المقدسة؟ ألا يعاقب أيضاً أولئك الذين لا يقومون بواجب الدعاية والارشاد للاسلام، والذين يخفون أسرارا فى قلوبهم؟ يشهد الله أننى لا أرمى من وراء ذلك أن أوجه التهم جزافا، لأنى لا أملك هذا الحق، ولـكنها صرخة ضعيفة أردت أن أنفس بها عن صدرى

إن الأزهر بحسب نظامه الحالى لا يستطيع أن يؤدى رسالة الاسلام كما يجب. فالنظام الحديث الذى أدخل عليه، والحيلولة دون اجتماع الطلاب فى حلقات الدرس كما كانوا قبلا حول شيوخهم، مسخ الأزهر وشوهه، وأفسد ما كان قد بقى له من جمال وجلال وحرمة، وأفقده سيطرته الدينية والاجتماعية فى العالم الاسلامى،

تلك السيطرة التى ظل متمتعاً بها قروناً عدة . ويلوح لى أن البرامج الحديثة لم تقدم الأزهر خطوة واحدة ، لأن المشرفين على تنفيذها جعلوا هدفهم الأسمى فتح أبواب العمل فى وجوه الطلاب ، وتمكينهم من احتلال الوظائف المدنية دون أن يفكروا فى تحميلهم ثقافة الاسلام على وجهها الصحيح وارشاد المسلمين الى الخير وتفقيههم ، ودعوة غير المسلمين الى الدخول فى دين الله كما نص على ذلك القرآن الكريم . يجب إذن أن يترك الأزهر ليكون جامعة الاسلام الحق ، وأن يعد طلابه لحمل رسالة الحق ، وتهيئتهم للوعظ والارشاد ؛ أما فتح أبواب العمل واحتلال الوظائف المدنية فأشياء ثانوية قد تصرف الأزهر عن الغاية التى أنشىء من أجلها

وعلى الرغم من وجود عدد كبير من العلماء الجهابذة فى هذا المعهد الاسلامى العظيم فان الضغط أطفأ فى قلوبهم روح المعرفة والتعطش اليها . على أن الاسلام فى عرفى يحتاج إلى حرية كاملة فى البحث والتنقيب والفكر . ولقد ولد الاسلام فى مهد الحريات فيجب أن يظل كذلك ، لأنه يحث على حب الحقائق والصدق والتغلغل فى أعماق المعرفة . وتقدم الأزهر لا يتم بتشييد العمارات المهيبة العظيمة ، وإقامة عمد من الرخام والمرمر ، وصنع مقاعد الدراسة من الاخشاب الثمينة ، وانما يتم بالتمسك بالعروة الوثقى ، وإزالة الصدأ الذى ران على القلوب من التمسك ببعض التقاليد والعقائد المزيفة ، وفى الاجماع على توحيد كلمة الحق ووضع الأنظمة الالهية فى المكان اللائق بها . ألم يقل الله عز وجل : « خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » أو كما قال الرسول الكريم « تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا »

***

ولما يئست من معاونة رجال الأزهر قر فى عزمى أن أقوم بدراستى وحدى مستعيناً بعمل خاص تكرم بتضحية جزء من وقته لتعليمى ، كما ألفيت مساعدة عظيمة من بعض أصدقائى بالقاهرة ، كالأستاذ محمود تيمور الذى يجمع بين ظرف الشباب وطهارة الشيوخ ، والشاب النابه محمد أمين حسونه الذى عرفنى إلى طائفة من أدباء مصر وصحفيها ، وأعارنى مكتبته طيلة إقامتى فى مصر ، والباحث محمد عبد الله عنان الذى يعد حجة فى التاريخ الاسلامى ، والشيخ الوقور عبد الوهاب النجار الذى له أتباع وتلاميذ منتشرون فى أنحاء الأرض ، وقد كان سبباً فى تعرفى بكثير من اخوانى المسلمين ، وكانت كتب توصيته بمثابة مفتاح يفتح أمامى كل باب

***

وفى أواخر فبراير زودنى الأستاذ النجار بكتب توصية بمناسبة عزمى على أداء فريضة الحج ؛ وكان له الفضل الأكبر فى تقديمى إلى « بنك مصر » ، ذلك الصرح المالى العظيم الذى يتناول من جملة مشروعاته الاقتصادية تنظيم سبل السفر إلى الأقطار الاسلامية المقدسة . ومما يذكر مع الأسف العميق أن أعمال الحج كانت تقوم بها قبل ذلك شركات ملاحة أوربية لا علم لها بما تتطلبه حاجات الحجاج المسلمين ، فكانت بواخرها تحمل المشروبات الروحية ، وتقدم إلى الركاب الطعام الأوربى ، ولا تكترث بأن تهيئ لهم الماء الكافى للوضوء ولا إقامة مصلى يؤدون فيه الفرائض الشرعية

أما « بنك مصر » فقد نظم للحج باخرتين كبيرتين تعدان من أكبر البواخر ، وزودها بكل ما يحتاج اليه الحجاج من وسائل الراحة والمأكل بحيث يشعر المسافر أنه لم يفارق بلاده . وقد كانت بغيتى أن أستقل إحدى هاتين الباخرتين ، لأنى عددت نفسى مصريا بعد أن شربت من ماء النيل ، ولكنى لم أتمكن وا أسفاه من نيل بغيتى ، فان قانون شركة ملاحة مصر يمنع من نقل الحجاج الأجانب على هذه البواخر ، وعلى الرغم من المجهود الذى قمت به وتوسط الهلباوى بك لم أوفق ، واضطررت إلى السفر على إحدى بواخر الشركة الخديوية

وقامت بنا الباخرة باسم الله مجراها تشق برزخ السويس ، فرحت أفكر فى تاريخ ذلك المضيق الذى كان سبباً فى فصل افريقيا عن آسيا ، بل كان فاصلا بين حقبتين من أحقاب التاريخ ؛ ومع أنه قرب مصر من أوربا فقد جعل لمصر مركزا سياسياً ممتازاً بحيث أصبحت جزءا من أوربا . وبينما أنا غارق فى غمار تلك الأفكار إذ اقترب منى فريق من الحجاج وبدأ التعارف بيننا بسرعة . كان بينهم طبيب هندى تصحبه كريمته ، ولكن لسوء الحظ لم يكن هذا الطبيب يعرف من اللغة العربية حرفا واحدا ، فاضطررنا أثناء السفر إلى التحدث باللغة الانجليزية . وفى

ذات يوم نظر إلى نسخة من القرآن الكريم فى يدى ، وهى الطبعة التى تولتها المطبعة الأميرية ، فأعجب بها أيما إعجاب ، وطلب إلىّ أن أبتاع لحسابه ألف نسخة من هذه الطبعة ليبعث بها إلى الهند إذ لا توجد هناك مصاحف جميلة من هذا النوع

وكان بالباخرة أيضاً حاج مراكشى ، يشغل وظيفة قاض فى فاس ، وكان صبوح الوجه ، وقوراً ، أميل إلى التزام الصمت ، لكنه ما كاد يسمعنى أتحدث بالعربيـة مع أحد الحجاج الأتراك حتى أقبل الينا واشترك فى الحديث . ولشد ما أعجبت بتبحر الرجل فى العلوم الاسلامية والفقه ، كما أن لباسه الشرقى الفضفاض كان يخلع عليه طابعاً من الرزانة والوقار ؛ أما صاحبنا التركى فكان أحد ضباط الشرطة فى دمشق ، وبعد اعتزاله الخدمة آثر أن يبقى فى سورية حيث تعلم اللغة العربية ؛ وكان طيلة السفر يشكو مر الشكوى من الأنظمة الحديثـة فى تركيا وبالأخص ترجمة القرآن وتشويه هذه الترجمة بحيث لا تؤدى المعانى المقصودة ، ويظهر سخطه وتبرمه بالغازى الذى يحول دائما بين المسلمين الأتراك وبين أداء فريضة الحج ، ويرهق كل من أراد الحج بالضرائب الفادحة

من ذلك ترى أننا كنا على ظهر الباخرة من بلاد متباينـة ، ولكن تجمعنا جامعة الاسلام ، وتؤلف بين قلوبنا وتجعلنا نعيش كأفراد أسرة واحدة . فلما اقترب موعد العشاء أخذنا أما كننا على المائدة ، وكان يخيل الى كل من يرانا أننا فى برج بابل ، فكل منا يتكلم بلغة لا يفهمها الآخر ، بيد أننا سوف نصل بعد بضعة أيام إلى جدة وتطأ أقدامنا الأرض المقدسة فنخلع عن أنفسنا تلك الملابس التى تفرق بيننا لنستبدل بها لباس الاحرام الفضفاض بحيث لا يصبح أى فارق بيننا بل نكون سواسـية فى حضرة رب البيت الكريم

وبعد انتهاء طعام العشاء بقليل صفرت الباخرة صفيراً عالياً فغادرنا المائدة وتهيأنا للوضوء ، ثم صلى كل منا ركعتين قرأ فيهما سورة الاخلاص وقل يا أيها الكافرون

وكان البحر هادئاً والهواء ندياً والنجوم تتألق فى القبة الزرقاء ، وراحت الباخرة التى كانت تحمل على ظهرها أكثر من ٧٠٠ حاج تلقى مراسيها بين هتاف الحجاج ودعواتهم الحارة

وهكذا ظل الحجاج فى هرج ومرج ، فكنت ترى البعض يهتف بقوله : لبيك اللهم لبيك ، والبعض الآخر مستغرقا فى صلاته ، وآخرين صامتين لا يبدون حراكا ، شاخصين بأبصارهم فى ذهول نحو الأرض المقدسة التى خرج منها سيد الخلق ورسول رب العالمين

وما كنت بأقل من هؤلاء الحجاج شعوراً بالغبطة والابتهاج ، ولزمت مكانى خاشعاً راكعاً لا تقوى قدماى على الحركة ، ودقات قلبى تثب فى قوة وعنف بينما يردد لسانى فى خفوت : لبيك اللهم لبيك . ثم انهمرت الدموع من مآقى ولم أملك أن أمنع نفسى من الاسترسال فى البكاء . أجل ! أدركت الحق الصحيح ولمست عظمة هذا الدين الحنيف ، وعبثاً حاولت النوم فى تلك الليلة ، بل شرد عقلى واتجهت بتفكيرى إلى أعمال الخلفاء ، رضوان الله عليهم ، وإلى رعايتهم الأمم الاسلامية ، وتوزيع أسباب العدالة عليها طبقاً لأصول الشريعة السمحاء

(يتبع) عبد الكريم جرمانوس

رثـــــاء

محمود چلبي الشهبندر أحد سراة العراق

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

— ١ —

تحطمت الآمال من بعد محمود   فياسلوتي شحّي و ياعبرتي جودي
قداجتُثَّ روحٌ كان قبل اجتثاثه   يزين بأثمارٍ له ألفَ أملود
خلا القصرُ ممن كان للقصر مالئاً   كأن لم يكن في رُدهتيه بموجود
لقد غمدوا السيفَ الصقيلَ بحفرة   و ياليت ذاك السيف ليس بمغمود
تجرّد من جسم تضيق حدودُه   يجوب فضاء واسعاً غير محدود
نعاه لىَ الناعى فكان نعيُّه   كصاعقة أو مثل صدمة جلمود
فادركنى يومٌ من الدهر أسودٌ   فكان لحزنى شرَّ أيامىَ السود

— ٢ —

لقد غاب محمودٌ عن الصحب مضطراً   ولم يبق منه للصديق سوى الذكرى
كأن لم يكن قد سُرّ أصحابُه به   ولا هو فى يومٍ بأصحابه سُرّا
بربك لا تَلحُ الحزينَ على البكا   فإنك لا تدرى بما فيه قد أورى
تقول عيونى للسحابة أقلعى   فانكِ لا تبكين من كبدٍ حرّىٰ
على كل قبر مقلةٌ ذات عبرة   وماذا انتفاع القبر بالمقلة العَبرىٰ
قسمتُ بكاء الشعر بينى و بينه   فأعطيتُه شطراً وأبقيتُ لى شطرا
ولا تقترح قولاً على الشعر إنه   بموقفه فى يوم محنته أدرى

— ٣ —

لقد ظلّ للموت الزؤامِ يجاذب   إلى أن علاه الموتُ والموتُ غالب
أطال الردى همساً بأذن مريضة   كأن له ديناً فجاء يطالب
ولو حزتُ علماً بالمقادير جئتُها   أؤنّبها فيما أتت وأعاتب
يقولون أمراض به أغرت الردى   وما هى أمراضٌ ولكن نوائب
فيا دمعُ أنت اليوم كالقلب نابضٌ   و ياقلب أنت اليوم كالدمع ذائب
لقد ندبته نسوةٌ حول نعشه   وأشجِ بما كانت تقول النوادب
إذا انطفأ النجمُ الذى كان ساطعاً   فليس ببدعٍ أن تسود الغياهب

— ٤ —

أمحمودُ كنتَ الراجحَ العقل والخلق   من الباطل الخدّاع تفزع للحق
وكنتَ كنجم لاقرار لسيره   فتطلع من أفق وتغرب فى أفق
وكان لموتٍ قد أصابك سهمُه   دوىٌّ بغرب الأرضِ أجمعَ والشرق
ولا رُزء إلاّ كان رتقٌ لشقه   وليس لشقٍ يفتق الموت من رتق
مضى بصديقى الحرّ يستعجل الردى   فليت الردى للحر قد كان يستبقى
بكتك عيون العارفيك بأدمع   تفيض وللأرض التى ظمئت تسقى
تجنبتَ ضوضاء السياسة آخذاً   بأيديك أسبابَ التجارة فى حذق

— ٥ —

حياةٌ ومن بعد الحياة مماتُ   وجمعٌ على الأعقاب منه شتات
وهل تغسل القلبَ الحزين من الأسى
إذا العين منها انصبّت العبرات
وإن أثقلت نفسَ الوفىّ فجيعةٌ   فلا النورُ يُسليها ولا الظلمات
أقول لقومى إن يكن عندكم لمن   تَفَجَّعَ سلوىٰ فى المصاب فهاتوا
وما أجملَ الأيامَ إمّا لنا وفت   ولكنما الأيامُ منتقلات
لقد حملوا نعشَ الفقيد لقبره   فساروا وسارت خلفَه السروات
فما كنت من تلك الجماهير سامعاً   سوى صرخات بينها شهقات

— ٦ —

على الأرض أمجادٌ كثير قصورُها   وأكثر منها فى العراء قبورها
وما من بقاع ليس يهلك أهلُها   ولا من سماء ليس تردى نسورها
وما خيرُ دنيا بالزلازل أرضُها   تميد وبالأمواج تغلى بحورها
إن الجسمُ أودى فالبوارُ نصيبُه   ولكنما الأرواح ماذا مصيرها
إذا ما حياةُ المرء للمرء فارقت   فهل من حياة غيرها يستعيرها
وليس لنفسٍ أن تخيرَ حمامَها   ولا هو إمّا زارها يستشيرها
إذا النفس دبّ الداء فيها فعالجت   منيتَها ماذا يكون شعورها

— ٧ —

هل الحزنُ إلاّ مقلةٌ تتفجّر   وإلاّ قلوبٌ نارُها تتسعّر
تبعثر شمل البيت بعد اجتماعه   وأىّ جميع عَوضُ لا يتبعثر
وأجساد موتى فى القبور تأسّرت   وأرواح موتى للبقاء تحرّر
على أن موتى السابقين إلى الردى   حياةٌ لأبناء لهم قد تأخّروا
ولم يك يوماً للطبيعة غايةٌ   سوى النوع إن النوع أبقى وأثمر
لقد عرف الإنسانُ منها ظواهراً   ولم يدرِ ماذا فى البواطن مُضمر

إذا مات طفل البيت فالخطبُ فادح
وإن مات ربُّ البيت فالخطب أكبر

— ٨ —

لقد جاء ماقد كان يبنيه ذا حسن ... فلما تمَّ حتى قام يهدم ما يبنى
حزنتُ وما حزنى سوى ابن رزيئةٍ ... وما دمعى فى العين إلا ابنة الحزن
وما أحدٌ فى الناس يدرى مصيره ... ومن كان لا يدرى فيفزع للظن
لقد زيّنت بالزهر قبرَك صحبةٌ ... وعن كل هذا الزهر قبرك مستغن
يخال الفتى علماً له بحقائق ... ولم ينتبه أن الحقائق فى الذهن
وليست حياة المرء بعد مشيبه
وإن قل شكواه سوى التعب المُضنى
سمعتُ أحاديثاً وإنى لمبدلٌ ... لما نظرت عينى بما سمعت أذنى

(بغداد) جميل صدقى الزهاوى

نذالة التعاسة
للأستاذ عبد الرحمن شكرى

كدت أنسى دواعىَ الرفق مما ... قد أرتنى نذالة التعساء
يقضمون اليد التى تنتحيهم ... بسخاء ونجدة وإخاء
ويكيدون فى الخفاء أو الجهـ ... ـرة ألأمْ بجهرهم والخفاء
عشش اللؤم حيثما عشش البؤ ... س سوى فى القليل من كرماء
ليس بِدْعاً أليس ما نغص العيـ ... ـش من البؤس باعث الشحناء
كل قلب يبيت من حسك البؤ ... س ملىْ بخسة الأدنياء
يتلظى شراً ويرشح غدراً ... ويداجى خوناً بثوب رياء
يلؤم المرء وهو غير شقى ... كيف ينأى عن لؤمه فى الشقاء
ليزيدنَّهُ اغتيالا وحقدا ... وافتراساً على حطام الرخاء
وسُعاراً لو أنه نال من أر ... ض لجُنَّتْ زلازل الغبراء
وهو غلٌ لو حاق بالشمس أمسى ... مثل ذر الرماد وجه ذُكاء
ليس شر البأساء قصراً على النحـ ... ـس ولكن كم أشعلت من عداء
وحقود وخسة وسعار ... واغتيال ومكرة ورياء
تفسد الأنفس الكرائم حتى ... تفتدى مثل أنفس اللؤماء
ضاع عطف الرحيم إذ ضاع حسن الـ ... ـخلق فى خيم أنفس التعساء
وعظيمٌ ما أفسد النحس من خلـ ... ـق هضيم ورحمة الرحماء
كم شقاء يمضى وفى النفس منه ... أثر واضح لغير فَناء
من عوادى سخائم لست تدرى ... أهى بالمرء علة الأدواء
أم هى النفس سقمها مثل سقم الـ ... ـجسم من إحنة ومن شحناء
مثل ذل الشعوب خَلَّف لؤما ... بعد فوت من عهده وانتهاء
وصفات الشعب الضعيف لتُلْفَى ... فى جسوم صحيحة أقوياء
من رياء وإحنة واحتيال ... وتعادى تخاذل وافتراء
شيم يدرأ الذليل بها من ... عجزه سطوة من الأعداء
أصبحت شيمة النفوس وإن لم ... يك ذل ولم يكن من عداء
فمتى يلبس الخلائق طرا ... طيب نفس فى شملة النعماء
ليس إلا بها نجاء نفوس الـ ... ـناس طرا من خسة الغبراء
فاطلبنْهُ فيها وإلا فدع نشـ ... ـدان أمر بغير داعى الرجاء

عبد الرحمن شكرى

الأمة العربية
بقلم حبيب عوض الفيومى

قد أصبحت وطعامها جرَّاتُها ... وتعرَّفَتْ لِعليمها نَكِراتُها
مبذولةً حُرُماتُها مفتوحةً ... أسدادها ملحوظةً غِرّاتها
غلبت مطامعها على أخلاقها ... فهوت بها أحقادها وتِراتها
فتخالفت من حقدها غاياتها ... وتشابهت من موتها فتراتها
فكأن خالد لم يَفُزْ بدِمَشقها ... يوماً ولا خَدَمَ الرشيدَ فُراتها
يا مُخفِقَ الأسفارِ طَيّاراً بها ... قد أنجحت بك آنفاً بَكَرَاتُها
نَهَضَتْ بنفسكَ فارساً أخلاقُها ... وهَوَت بنفسك طائراً جَرَّاتها
انظر لنفسك أين موضع فضلها ... لا تلفحنَّك جامحاً جمراتها
ما بالغِنَى فتح البلادَ محمدٌ ... بل بالهدَى دانت له داراتها
ينجو الكريم مَعَ القليل صِيَانَةً
وتُميتُ صاحبَ حاجةٍ حَسَرَاتُها
وكأنَّ ذلكم البريقَ غشاوةٌ ... للنفس تَكْمُنُ تحته عثراتها
ومن الدليل على شقاوةِ أمّةٍ ... أن يستنيم إلى النعيم سَرَاتُها
والأرضُ دارٌ إن تفاضل أهلها ... بغَى البطون لخيرهم حشراتها

الفيوم حبيب عوض الفيومى

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٢٩ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

الناحية الإيجابية من مذهب نيتشه

السوپرمان

أو الانسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوى

لا ينبغى للعاقل أن يكون قاسياً على نفسه فحسب ، ليكن قاسياً على الآخرين أيضاً لا يحفل بهدوء ولا بسلام ؛ هو يدرك أن الانسانية لا تنشط نحو غاية معينة معلومة ؛ ولكنه يرى كل شىء فى استحالة وتطور ؛ يرى من واجب الحياة نفسها أن تعمل على أن تفوق نفسها ، ويدرك أن الانسان ليس من حقه أن يملل نفسه بأنه بلغ المرفأ سالماً . ليكن كل سلام عنده ذريعة لحرب جديدة ، ولتكن حياته طافحة بالحوادث العظام ؛ هو لا يتحرى عن السعادة ولا يجهل أن الفرح والحزن هما توأمان متقارنان . وفى استطاعة الانسان أن يجوز الحياة بدون فرح كبير يمروه ، أو شقاء كبير يغزوه ، على أن ينقص من قوة حيويته . أما الذى يريد أن يتذوق الأفراح الكبيرة فمن واجبه أن يعرف الأحزان الكبيرة ، إذ كل ارتجاج فى ناحية يقابله ارتجاج فى ناحية أخرى . « أما خالق القيم المؤمن بالحياة ، من يريد الحياة عنيفة قوية ما شاءت القوة ، فهو يريد أن تكون الارتجاجات واسعة حول نقطة الموازنة ؛ يريد أن يعرف القمم العالية للسعادة والشقاء . يريد أن يعرف الانتصارات المسكرة والهزائم الشنيعة . يجب عليه أن يمشى فى وقت واحد إلى النصر والى الاندحار . وزرادشت ذاته قد هلك حين بلغ « قمة » وجوده . والسوپرمان هو – فى وقت واحد – الظفر اللامع والاندحار القوى للانسان

وبينا ينبغى للعاقل أن يكون قاسياً على نفسه ، لا يلتوى إزاء الألم ، ينبغى له كذلك أن يكون قاسياً على الآخرين ؛ هنالك مصائب وآلام يعد تخفيفها فاقداً للانسانية ، وهنالك منحطون ناقصون ، جاوزا الحياة اختلاساً ، فلا يجوز تأخير فنائهم !

يقول زرادشت : « فى كل مكان ترن أصوات الذين يعظون بالموت ، والأرض مفعمة بالذين يجب أن يوعظوا بالموت ، أو « بالحياة الأبدية » حتى يقلعوا عن الحياة سراعاً . والمتشائمين والشكوكيين والمنحطين الذين يئنون ويقولون « ما الحياة إلا شقاء » ، لهؤلاء يجب أن يقول العاقل « إذن ! ضعوا لحياتكم وآلامكم حداً تنتهى عنده حياتكم وآلامكم ، ولتكن شريعتكم مبنية على هذه الكلمة « الانتحار واجب ، والانهزام من الحياة واجب » ، إذ لا ينبغى للأرض أن تغدو داراً آهلة بالمرضى والبائسين ، حيث يفنى الانسان الخالص الجوهر سأماً وشفقة . إذا أردنا أن نستنقذ السلالات الآتية من مشاهد الفاقة والشناعة فلنترك الموت ينزل بمن هو ناضج للموت . ولتكن فينا جرأة على ألا نصرف الساقطين عن السقوط ؛ لندفعهم ولنقذف بهم قذفاً حتى يهووا سريعاً . ينبغى للعاقل أن يعرف كيف يتحمل مشهد الألم عند الآخرين ، وأن يعرف كيف « يؤلم » ويبث الألم دون أن تجد الشفقة إلى قلبه سبيلا

هذا هو ما تطلبه النفس العظيمة . يقول زرادشت : « أبالغ أنت شيئاً عظيما إذا لم تشعر بقوتك وارادتك التى تعاقب بآلام كبيرة . عرفانك أن تتألم ، هذا شىء حقير ؛ فالنساء الضعيفات والعبيد يصبحون أسياداً فى فن الألم . ولكن ثبات جأشك وعدم انحنائك أمام المصائب المؤلمة والصيحات المؤلمة ، هذان هما مظهر العظمة وسرها الصريح »

ينبغى للعاقل أن يتصف – فى كل فصول حياته – بطهارة الطفل اللاعب ، وصفاء الراقص الباسم ، وهناء اللاعب المجدود ، وفى مثل « الاستحالات الثلاثة للروح » ينبئ زرادشت بأن النفس الانسانية يجب أن تكون فى استحالتها الأولى « بعيراً » يحتمل بصبر أثقل الأعباء على ظهره ، حتى يستطيع أن يجمع الشىء الكثير من التجارب ، ثم يستحيل « البعير أسداً » يجأر قائلا : « أنا أريد ! » ويتوعد بمخالبه الحادة كل من يحاول العبث بحريته . يجب عليه أن ينتصر على تنين الشريعة المكتوب على كل جزء من جسده بأحرف ملتهبة « يجب عليك ! » ثم يسرع فى نزع أثقال المثل الأعلى والحقيقة والخير عن ظهره

مما كان يظن حمله خيراً له ، وأخيراً ، لكي يستطيع أن يدخل في دور « الانتاج والابداع للقيم الجديدة » بعد تهديم القيم القديمة ، يجب عليه أن يستحيل طفلا يلهو ويلعب ؛ « إن الطفل هو صفاء ونسيان ، هو ابتداء ، هو لعبة ، هو دولاب يدور بنفسه حول نفسه » . وهكذا يجب على النفس التي تتوق إلى الصعود فوق قمم الحكمة أن تتعلم أن تلعب ، وأن تفرح وتمرح طاهرة صافية ، يجب أن تكون خفيفة غير واعية تنعتق من التشاؤم والكآبة ، ومن كل ما يجعل حياتها سحابة دكناء

تقول الشريعة القديمة : « ويل لمن يضحك » ؛ وهذا القول عند زرادشت منكر قبيح . أما العاقل فيجب عليه أن يضحك الضحكة الآلهية ؛ يجب أن يدنو من محجته وغايته بخطوات خفيفة راقصة طائرة ، لا بليدة نادمة ؛ إنه يتعزى بالضحك عن نقصه ؛ إنه بالرقص والطيران يجوز مستنقعات الكآبة كالرياح العاصفة . يجب على الانسان أن يتعلم الرقص بنفسه والضحك بنفسه وأن يرتفع وأن يسمو فوق نفسه ، وأن تفوق نفسُه نفسَه على أجنحة الضحك والرقص

يقول زرادشت : « إن إكليل الضحك ، هذا الاكليل من الورد ، ضفرته أنا على رأسي ، وأنا قدست ضحكتي المرحة . إن إكليل الضحك ، هذا الاكليل من الورد ، ألقى به اليكم يا رفاقي ! أنا أقدس الضحك . أيها الرجال السامون ، فتعلموا أن تضحكوا »

— ٣ —

« إن من كان مثلي مدفوعاً بشوق غريب للتأمل في مذهب التشاؤم إلى أقصى حد ، قد يكون — من حيث لا يريد بذاته — فاتحاً عينيه على المثل الأعلى للرجل الحي الطروب المبتهج بالحياة الذي لم يتعلم أن يتحمل الماضي والحاضر فحسب ، بل يعمل على إحيائهما معاً ، مهما كان الماضي ومهما ذهب المستقبل . » ولعل هذا التشاؤم المبطن عمقه بالتفاؤل هو الذي حدا بنيتشه إلى أن يطالب الحياة لنفسه ، ولهذه الرواية الانسانية الشاملة الكاملة ، وللوجود الذي يقوم بتمثيل هذه الرواية

في شهر أغسطس من عام ١٨٨١ هبت في رأس نيتشه فكرة القول بالرجعة الخالدة التي أصبحت أساس فلسفة السوبرمان ، وما لبثت هذه الفكرة أن ملكت عليه مشاعره كلها . وقد تتلخص هذه الفكرة في هذه الكلمة : إن شحنة القوى التي تهيمن على العالم تتراءى لنا ثابتة سرمدية ؛ لا نقدر على أن نفترض لها نقصاً لأنها لو كانت كذلك لوجب زوالها في هذا الدهر الطويل ، ولا نقدر على أن نفترض لها نمواً — كالنمو العضوي الذي نعرفه — إذ لو كانت كذلك لافتقر نموها إلى غذاء ؛ وما هو هذا الغذاء أو هذا الوقود ؟ وعلى هذا لم يبق لدينا إلا الاعتقاد برسوخ هذه القوى وثباتها

(يتبع) خليل هنداوي

القصص

مأساة من اسخيلوس

أجاممنون

للأستاذ دريني خشبة

« ولد اسخيلوس سنة ٥٢٥ ق . م . وعاش سبعاً وستين سنة ، وحارب في موقعة ماراثون ، وكتب تسعين دراما لم يبق منها غير سبع . وكان يكتب درامات ثلاثية Trilogy أي تتركب الواحدة منها من ثلاث درامات — أو قل فصول — تستقل كل منها بنفسها ، وتكون مع الأخريين وحدة رائعة . وكانت مآسي أسخيلوس غرة في جبين عصر بركلس ، أزهى عصور الأدب في التاريخ القديم ؛ ودرامة اليوم (أجاممنون) هي الحلقة الأولى — أو الفصل الأول — من إحدى ثلاثيات إسخيلوس (الأورستية) نسبة إلى بطل المأساتين الأخريين (أورست) (١) بن أجاممنون وضحية الأمومة الأثيمة ، ويعدها نقاد الأدب الكلاسيكي أروع ما في الأدب اليوناني

« وإسخيلوس هو أول من سار بتقاليد المسرح القديمة ، بل ربما كان واضع أول لبنة في المسرح القديم . وقد كانت الدرامة — أو المأساة — قبله غير معروفة ، وكانت القامة (Cantata) هي المتداولة ، وكان القصاصون يقومون بتأدية الأدوار جميعاً . فلما كان اسخيلوس حتم أن يخصص لكل دور ممثل بعينه ، والمنشدون أو (الخورس) لهم مكانة رفيعة في درامتي اسخيلوس وسوفوكليس ، وأناشيدهم هي شرح للأحداث التي تمهد للدرامة أو تتصل بها . »

— ١ —

نحن في الـ (پلوپيديه) ، ذلك القصر المتبق الشاهق ، الذي تكتنفه الأسرار ، وتهوم في أبهائه وردهاته الألغاز . . .

ومن الـ (پيلوپيديه) تصدر الأوامر ، فتصدع بها مملكة آرجوس . . . وتُجيَّش الجيوش ، وتتحرك الأساطيل . . . وتسيل الدماء أنهاراً !

ومن هذا القصر ، يحكم الملكان الشقيقان أجاممنون ، ومنالايوس . . . أما أولهما فقد تزوج من الفتاة الكاسرة ، ذات الصولة ، كليتمنسترا ، بطلة المأساة التي نحن بصددها الآن . . . وأما ثانيهما ، فقد تزوج من الفتاة اللينة الغضة ؛ المترعة بالمفاتن ، هيلين ! التي فرت مع عشيقها المجرم باريس . . إلى . . طروادة ؟ . . والتي شبت بسببها تلك الحروب الطويلة المروعة فذهبت بالنخبة الناضرة من شباب هيلاس واليوم . . .

والفتاتان شقيقتان ، وقد تبناها تنداريوس المظلم ، وزوجهما من هذين الملكين الشقيين ، ليزيدا في شقائهما ، وليكونا حرباً عليهما وعلى شعبهما البائس لا تنتهي ! وليكونا كذلك ، ليلاً على هذا القصر المتبق الشاهق — الـ (پلوپيديه) مظلماً . . . لا تنجابي غواشيه . . . ولا تنقشع دياجيره ! !

— ٢ —

وفرت هيلين الآبقة ، مع باريس الآثم ؟ . . . فهاجت هيلاس ، وهبت ريح الحرب ، وتدفقت الجيوش إلى أولس حيث الأساطيل في انتظارها ، لتمخر بها البحر الإيجي إلى مدينة بريام . . .

وودع أجاممنون زوجته . . . وذرفا ، وهما يتعانقان ، دموعاً حارة سخينة ! وانطلق مع شقيقه الملك البائس المفضوح في عرضه ، منالايوس ، إلى أولس . . . ليركبا مع بقية الجند . . . وليبحرا إلى اليوم . . .

بيد أن البحر المضطرب كان ينذر بتحطيم الأسطول إذا هم أن يقلع

والعاصفة التي أطلق پوسيدون(١) عنانها كانت تثير في اليم موجاً كالجبال . . . وكانت تراوح الشاطئ المرتجف وتغاديه ، فتهيل التراب وتسفيه ، وتحط صخره من علٍ وتغرق به ما تهاوى عليه من أسطول هيلاس . . .

وانتظروا طويلا حتى تسكن العاصفة ، ويهدأ البحر

(١) آثرنا هذه التسمية لسهولتها ولأننا مضطرون لتكرارها كثيراً في الدرامتين التاليتين والاسم الحقيقي هو (أورستيس)

(١) إله البحر

المصطخب ... ولكن ... بلا جدوى !

ثم قيل لهم إن الآلهة عطشى ، وأرباب الأولمب ظماء ، وإنها لا يرويها إلا دم عزيز غال يسفح ، ومهجة شابة غيداء تطل ، وإن الآلهة لا ترضى باحدى ابنتى أجاممنون بديلا ! !

لا ترضى الآلهة أن يسفك دم إلا دم إفجنيا العذراء ، أو أختها الكاعب إفياناسا ، فاذا لم ترو الآلهة فلن تهدأ العاصفة ، ولن يسكن العباب ، ولن يفتأ البحر يضطرب ، ولن يقلع هذا الأسطول اللجب

وتردد أجاممنون ! واضطرم قلبه بحنان الأبوة ! ولكن القادة تكبكبوا حوله يلحفون عليه أن يصغى إلى وحى السماء ، ويستجيب لأمر الآلهة ... فقبل ... وبكى ...

— ٣ —

وجىء بالعذراء البريئة إفجنيا ، ليحتفل بخطبتها إلى أخيل فيما ادعى الوالد المحزون فى رسالته إلى زوجه ...

ولكن الزوجة تكتشف أن لا خطبة هناك ... بل هناك قتلة شنيعة تنتظر ابنتها ... لا لشىء ... إلا أن تروى الآلهة ... كما أرجف المرجفون !

وتصبح أضواء الحياة كلها ظلمات فى عينى الأم ... وتحاول إنقاذ الفتاة ... ولكن ... عبثاً ! ... لقد تقدمت إفجنيا الى الكاهن الجلاد بقدم ثابتة ، وجأش رابط ، ونفس مطمئنة ... وأعلنت أنها تهب نفسها للوطن ... ! ودمها للآلهة ... وأنها تستودع الأولمب أباها ... وأمها ! ...

وأهوى الجلاد ... الكاهن ... بسكينه ... فهريق الدم العزيز الغالى ! !

— ٤ —

وعادت الأم المضعضعة إلى القصر الشاهق العتيق ... الى ال(بيلوبيديه) ... تجتر هذه المصيبة الدامية ، وتغص بتلك الداهية الحمراء !

وتحزن أياماً ...

ويشمل السواد كل شىء ... حتى أضواء الشمس ، وأفواف الزهر ، وآراد القمر ! !

كل شىء أسود حالك ... لا سيما ... قلب الملكة ... !

لقد انفردت فى هذا القصر العتيق ، فهى صاحبة الأمر والنهى فيه ، وكل شىء يصدر عن إذنها ويقضى بأمرها ... والملكة بأسرها بيديها ... ومع ذاك ... ومع كل ذاك ... فليس فى الدنيا العريضة ما ينسيها إفجيا ! أو يبعد عن عينيها ذلك المنظر الرائع الرهيب ... منظر السكين اللامعة تهوى على عنق الفتاة ... !

إنها أمامها أنى ذهبت وأيان وجهت . . .

ها هى ذى تمرح فى هذه الغيضة من حدائق القصر . . . وتلعب فى تلك الردهة من الطابق العلوى . . . وتغرق فى هذه اللجة من ديباج السرير . . . وتداعب الظباء فى الحظيرة . . . وتضفر أعواد الزنبق للتماثيل . . . وتنثر الورود والرياحين تحت أقدام الدمى ... ثم ... ...

ثم ها هى مسجاة فوق المذبح يتفجر من غلاصمها الدم ! !

— ٥ —

وسكنت العاصفة ، وهدأ البحر الجياش ، وأقلع الأسطول عن عليه ... وحوصرت طروادة ... وقتل الأبطال الصناديد من الفريقين ...

وكرت أعوام عشرة . . .

— ٦ —

« كيف يقتل ابنتى هذا الملك الذى قد قلبه من صخر ؟ كيف سولت له نفسه أن يأذن لجلاديه بذبحها ؟ أين حنان الوالد ؟ قربان للسماء ؟ أى سماء هذه التى تشره لدماء العذارى ؟ لا ظفر أجاممنون بأعدائه ! ولا حمله البحر إلى آرجوس كرة أخرى ! وروى ثرى طروادة من دمه ، كما رويت آلهته من دم ابنتى ! ! »

ووقر فى قلب كليتمنسترا أن تثأر لابنتها ... ولكن ... ممن ؟ من أجاممنون ... من أبيها أجاممنون ... ! إذن ... فلتدبر غيلته فى هذه السنين العشر ، ولتحشد حولها أعداء هذا القصر العتيق الباذخ ... ولتنبش الأحقاد القديمة ، والترات التى تتقلب فى أحشاء الماضى ... ولتجتمع عصابة الشرور فتدبر وتأتمر ...

— ٧ —

ترك أتريوس ملك أرجوليس المتيد لولديه ، أجاممنون وأخيه ، وترك لهما كذلك إرثاً عتيداً من الدم لم يسمع الناس بمثله ... لن يسمعوا بمثله ... لأنه دم أعز الأبناء ... وشواء لعين أيما شواء ...

ذلك أنه كان للملك أتريوس أخ يناوئه من أجل عرش أرجوليس وما يتاخمها من الاقطاعات ... وكان هذا الأخ (ثيذتيس) يحاول أن يجمل الملك فى أبنائه ... من دون أبناء أخيه ... ولكن أتريوس وقف على التدبير السيئ الذى يرسم خطط أخوه فى الظلام ؛ فما كان من أتريوس إلا أن دبر هو تدبيرا دمويا هائلا ... قضى به على أخيه وعلى أبناء أخيه ... إلا واحداً !

تودد إلى أخيه أياما ، وعاتبه فى هذه الجفوة التى لا يكون مثلها بين أخوين ، فأعتبه ... ثم دعاه الى وليمة فاخرة يقيمها له فى الا (بلوبيديه) ... فقبل ثيذتيس !

وفى اليوم المحدد ... وبعد تدبير أحكمت حلقاته ... أقبل ثيذتيس ليؤا كل أخاه ، وليتصافح القلبان اللذان ينطوى كل منهما لصاحبه على الحب ... وأصرم الغل والحقد ...

وحان موعد الغداء ...

فنهضا الى خوان عامر مجلل بما لذ وطاب من لحم يملأ قتاره الخياشيم الجائعة ، ويسيل لعاب الأفواه الملطة ...

وجلس ثيذتيس المنهوم فأكل حتى امتلأ ... وما كاد ينتهى حتى كشف له الغطاء عن تلك الغيلة القاسية ، التى يتنزه عنها أضرى الوحوش ! !

لقد أكل ثيذتيس حتى امتلأ من الشواء الفاخر الذى أعد له من لحم أبنائه ... وأكبادهم وقلوبهم ... وها هى الأصابع والأيدى والرؤوس والأقدام فى سفط كبير على مقربة من الوالد البائس ... شهيد على ذلك ! !

وجن جنون الأب المسكين !

ولكنه عوجل هو الآخر بقاصمة الظهر ... فذهبت روحه تتردى فى ظلمات هيدز !

فيا للوحشية ... وويل للمتوحشين ! ! !

— ٨ —

وكان إيجستوس يتقلب على وجهه فى البلاد

فلما علم بالمأساة التى ذهبت بأخوته ، وبأبيه ... شرد فى الأدغال ، ونفر فى التيه الذى لا أول له ولا آخر من غاب هيلاس وأنس الى الوحشة ، وسمر الى الذئاب ، وصحب اللصوص وقطاع الطرق ... وتلبث حتى اشتد ساعده ، واشتد عوده ... وعاد مستخفياً يدبر أمر هذا الثأر الثقيل ، ويرسم الخطط لهذا الدم المطلول ...

ولكن ... لقد مات أتريوس ... وحكم من بعده ابناه أجاممنون ومنالايوس ... وها اليوم تحت أسوار طروادة يصطرعان مع الطرواديين

فهل تزر وازرة وزر أخرى ؟

أجل ! ! (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ... فليتقوا الله ! !)

إيجستوس ! اهذه فرصتك فلا تفلتها ! !

— ٩ —

واتصل إيجستوس بالقصر ، وتأكدت بينه وبين كليتمنسترا أواصر الود أولا ؛ ثم انقلب الود واتحاد القصد وبغض أجاممنون وأسرة الا (أترديه) فصارت غراما أثيما وعشقا فاسقاً ولذاذة مجرمة

وعمى قلب الأم ... وحجبت الغواية بصيرتها ؛ فنفت ولديها[1] : أورست الغلام الحدث ، وإفياناسا الفتاة الناعمة بعيدا عنها ، لتزداد إغراقا فى اللذة ، ولينام ضميرها الميت فلا يوقظه هذا النسل البرىء من صلب أجاممنون ! !

— ١٠ —

العاصفة تهب بشدة[2] ، والحارس المتعب يلفحه البرد القارس فوق سطح القصر الملكى العتيق ، الا (بيلوبيديه) ، والليل الرهيب ينظر الى القصر الفائض بالأسرار بعين قلقة من تلك النجوم المحملقة ؛ وسنوات عشر قد تصرمت ، وهذا الحارس المسكين فى مكانه من هذا الميدان المعلق بين الأرض والسماء ... أجل عشر سنين طوال كأنها عشر أحقاب كاملة ، وهو يروح ويجىء كأنه آلة الزمن ، أو قوس من دائرة الفلك .. وهو يشكو ، ويحاول أن يتسلى بأغنية أو صفير ، ولكن الأسرار الهائلة التى يعج بها القصر من تحته تفزعه ، فيعزف عن الغناء وعن الصفير ... ويصل شكواه ، ويرسل بثه

وهو هناك فوق سطح القصر الملكى منذ قيام تلك الحملة المشئومة الى طروادة ... وهو الى هذه الليلة يرقب النيران التى إذا تأججت فى رؤوس الجبال كانت بشرى سقوط طروادة !

وأومض البرق فى الظلماء فجأة ! ... واندلعت النيران المنشودة ! واستطار الحارس من الفرح ؛ وفرك عينيه ليستيقن

(١) يتناول سوفوكليس هذا الحدث من وجهة نظر ثانية ورأى آخر سنعرض لهما فى حينهما إن شاء الله

(٢) من هنا تبتدئ درامة اسخيلوس

أنه ليس فى حلم . . . ولكن النار تندلع وتتندلع . . . إذن انتصرت جيوش هيلاس ... وسقطت مدينة بريام !

وأى بأس فى أن ينطلق هذا الحارس المسكين فيزف البشرى إلى الملكة ... لا بأس ! ولكنه ما يكاد يخطو خطوة واحدة ، مفتراً فى ظلمات الليل البهيم عن ابتسامة الجذل ، حتى يذكر الأسرار الهائلة التى نسجتها عناكب القدر فى القصر ... فتنقلب ابتسامته الجذلة الى عبوسة قاتمة ... فيقف مكانه ويصمت ! !

— ١١ —

ويدخل المنشدون حديقة القصر ، ويهزجون بنشيد طويل حلو (١) ثم تقبل الملكة فيتقدم اليها رئيس الخورس محييا ويتساءل : « هل من نبأ عن الحملة يثلج الصدر المكروب ويبهج النفس المحزونة ؟ » وتبتسم الملكة ابتسامة خبيثة صفراء ، ثم تزف بشرى انتصار الهيلانيين

— « وكيف ؟ لا نصدق ! ولكن تكلمى ... تكلمى أيتها الملكة ! »

— « إليوم فى قبضة رجالنا ! هل أراك فهمت ؟ »

— « إنها مفاجأة تملأ أعيننا دموعاً ... »

— « وإنها دموع تؤكد إخلاصكم وطهارة قلوبكم »

— « ولكن هل من برهان أيتها الملكة ؟ »

— « ما لم يكن بعض الآلهة يخدعنى ! »

— « ألا تكونين قد استسلمت لغفوة لذيذة فشهدت رؤيا طارئة ؟ »

— « إن أوهام المنام لم تخدعنى قط ! »

— « إذن منذ كم سقطت طروادة ؟ »

— « فى نفس هذه الليلة التى كاد صبحها يتنفس ؟ »

— « وأى رسول حمل اليك النبأ فى مثل هذه السرعة ؟ »

— « النار الالهية ألمعت به إلى هنا من ذروة جبل إيدا ... وهشيم الخلنج المتأجج فى شعاف الجبال ورؤوس الآكام ... »

واستطردت كليتمنسترا فذكرت كيف أشعل الهيلانيون النيران فى قُلَل الشاطئ الأسيوى ، ثم كيف تنقل الوميض فى السموات حتى عكسه أفق أرجوليس ... وطفقت تحشد الكنايات فى حديثها ، وتنثر الألغاز فى ثناياه ... صادرةً عن غلها المقيم وحقدها القديم على أجا ممنون !

— « يالطنين النصر فى طروادة اليوم ؟ ... ... أحسب ألا يستطيع أحد أن يميز صيحات السادة الظافرين من صيحات العبيد المقهورين بين جدرانها ! إنهم سواء منكودو الحظ ، سود الجدود ، حقيقون بالرثاء ! ومن يدرى ؟ فلعل الآلهة تغضب فتنتقم ممن دنس هياكلها ، وسطا على طُرفها وتحفها بجمالها فى جملة الغنائم والأسلاب ! ... ولعل أرواح الضحايا (!) والشهداء تهب من مراقدها مغضبةً حانقة فتقف فى سبيل الأبطال الظافرين فلا يعودون إلى أوطانهم ! ... ولكن فلما ساد حق ... دون أن ترتكب ألف مذمة باسمه ! ... »

— ١٢ —

ويفطن الخورس إلى ما كان يتناثر فى حديث الملكة من ألغاز ، ويفطنون إلى هذا الفتور وذاك الضيق اللذين كانت تزف فى ظلالهما بشرى سقوط طروادة ... فيعزونه إلى أسبابه التى باتت لا تخفى على أحد فى المملكة ... ثم يتشككون فى كل ما انطلق به لسانها ويحسبونه هذياناً فى هذيان !

وما يكادون يفرغون من نشيد طويل رائع حتى يحضر البشير فيزف اليهم النبأ الصادق ويبشرهم بأوبة الملك ، ثم يصف لهم شطراً مما لقيه الجنود تحت أسوار إليوم : « بل ما لقيه الطرواديون يومئذ من مصائب الحصار وكوارث القتال ، ثم هذه الهزيمة التى أبادت دولتهم وقوضت بنيانهم ... »

بيد أنه سرعان ما يفطن البشير إلى تلك الكآبة التى تغشى نفوس القوم ، فيسائلهم ، ويجيبه رئيس الخورس :

— « لقد كان الصمت . وسيظل ... ملاذنا أيها البشير ! »

— « وكيف ؟ أترهبون أحداً فى هـذا القصر غير مولاكم ؟ »

— « ... ؟ ... ! ... »

— « أسرار ... أسرار ...

— ١٣ —

وتقبل الملكة كرة ثانية فتلمح تلج مشاعر المنشدين وتحاول أن تخدعهم عن خابية نفسها فتقول : « هل صدقتم الآن أن اليوم قد سقطت ؟ ! لقد كنتم فى مرية من بشراى التى زففتها اليكم لأنكم لم تروا أمامكم تلك الفتاة المزهوة التى تكاد تجن من الفرح

(١) نأسف جداً لاضطرارنا الى حذف الأناشيد برغم أهميتها مكتفين بما قدمنا للدرامة من شرح مسهب ، وذلك لأننا نحاول اعطاء القارئ صورة خفيفة قريبة بقدر المستطاع الى الأصل على ألا تمل . وربما عرضنا للأناشيد فى بحث خاص

لهذا النصر المفاجئ الذي إنتظرناه طويلا ... يالكم أيها الرجال !
وأنت أيها البشير ! أترى إلى قرباني الجسد ذي الخوار الذي أعددناه أضحية لما بشرتنا به ؟ ... وسترى كيف ينتشر البخور من مجامر المد ومخارق المنبر فيؤرج أجواء آرجوس تحية لملك.
تعال ... تعال أيها البشير فقص على كيف سقطت طروادة وكيف رغم أنف ملكها ! ... ولكن ... لا ... ليست لى بذلك حاجة ... اذهب ... فلن أسمع قصة ذلك إلا من رجلى ... أجاممنون ... ملك أرجوليس ومعقد آمالها ! ... أى فخار لامرأة أكبر من أن تستقبل فيض النور السماوى يتنزل عليها من العلو ... حين يعود إليها بعلها وعلى رأسه إكليل من غار النصر ؟ وأى فخار للرجل أكبر من أن يعود من حلبة الحرب فيجد زوجه وفية له كما تركها مخلصة كأحر عهده بها ! ؟ حريصة على أسراره ... قائمة على بيته ... ساهرة على أبنائه ككلبه الأمين !! ماتزال تحمل ذكرى عناقه الأخير، وتشدو بآحر قبلاته كأحسن أغاريد الحياة ! يالفخر ... يالفخر ... »

وتخرج الملكة ... ولا ينطلى ما زخرفت من قول على أحد !
ـ « ها قد سمعت مقالة الملكة ، فلتكن أذناك ترجمانك الأمين ! ... ولكن ... حدثنا بأربابك عن أمير هذه البلاد المحبوب ، جليل المقام منالايوس ... هل قدم معكم فى أمان إلى أرض الوطن ! ... »

ويربد وجه البشير ، ثم يمهد لحديثه بمقدمة مجلوة ، ويذكر كيف ثارت العاصفة فبعثرت الأسطول المنتصر ... « وفصلت سفائن منالايوس عن سائر الأسطول ، فلا يعلم أحد أين رست به إن كانت قد سلمت من غضبة البحر الذى طفق يتدجى فوقنا كأنه الليل ...

... ولم نصدق أننا نجونا من فورة هذا العباب حتى انبلج الصبح ، فصلينا للآلهة ، وشكرنا للسماء ... وابتهلنا الى الأرباب أن يحفظ منالايوس ، وأن يرده سالما إلى أرض الوطن ... »

ويأخذ الخورس فى نشيد بعضه شدو وبعضه شجو ... وبعضه سخط على هيلين ... التى فاز بها من فاز بالحرب ... وتزوج منها من تزوج بالحرب ... والتى كانت على جميع من اتصل بها حرباً أى حرب ! »

— ١٥ —

وبينا المنشدون يتفننون بألحانهم ، إذا عربة مطهمة ، تجرها صافنات جياد ، تدخل فجأة فتكون تلقاء القوم ...

ويكون فى العربة أجاممنون الظافر المنتصر ، قاهر طروادة ؛ وإلى جانبه تلك النبية المباركة ... حبيبة الآلهة ... الفتاة العذراء .. كاسندرا ابنة بريام العظيم ملك إليوم المقتول ... عاد بها أجاممنون من جملة السبى لتكون خليلة له ...

ويحيى الخورس مليكهم بلحن حلو من موسيقى السماء ، يبللونه بدموعهم ويصهرونه بحرارة قلوبهم ، فيشكر لهم ويثنى عليهم ، ويقول :

(البقية فى العدد القادم) دريني خشبة

١٦ ٥ ٦

البريد الأدبي

حلم ليلة صيف

ظهرت أخيرا أول قطعة من مسرحيات شكسبير الخالدة على ستار السينما؛ وهو بلا ريب حادث عظيم في تاريخ الاخراج السينمائي؛ وقد كان رأى النقدة والفنانين أن مسرحيات شكسبير إنما خلقت للمسرح، ومن الصعب ان لم يكن من المستحيل إخراجها بنجاح على ستار السينما؛ ذلك أن مناظرها وخيالاتها لاتسمح رغم روعتها بذلك السبك الذى يطالب في الشرائط المصورة، ولأنها ترتفع أحيانا فوق الوسائل الفنية التي يسمح بها الاخراج السينمائي؛ ولكن فنانا عظيما هو ماكس رينهارت رأى في مسرحيات شكسبير رأيا آخر، وجالت بذهنه فكرة جريئة هي الاقدام على إخراج بعض هذه القطع الخالدة على لوحة السينما؛ وقد تم إخراج المسرحية الأولى وعرضها، وهي «حلم ليلة صيف»، وقد أتيح لنا أن نشهد هذا الشريط الرائع أخيرا في احدى دور السينما بالقاهرة، فألفينا فيه عبقرية المخرج العظيم تتجلى إلى جانب عبقرية الشاعر الخالد، ورأينا خيال الشاعر المبدع يبدو على صفحات الواقع الملموس في أروع ثوب؛ ولم يحل دون تحقيق هذه الأمنية. أن القصة كلها أحلام في أحلام، وأن هذه الأحلام تبلغ ذروة الخيال المغرق، وتفيض في عالم الأرواح والأشباح والعالم الآخر

وسر هذا الابداع المدهش في إخراج هذه القطعة الخالدة هو بلا ريب في عبقرية المخرج؛ والواقع أن ماكس رينهارت قد بلغ الذروة من قبل في إخراج المسرحيات الخالدة: مسرحيات شكسبير، وجيتى، وشيللر، ولسنج وغيرهم، على المسرح؛ وماكس رينهارت نمسوى يهودى، ولد في مدينة سالزبورج، موطن الفن والموسيقى الخالدة؛ وتلقى تربيته وخبرته الفنية في مدينة فينا أعظم موطن للثقافة الفنية والموسيقية، وظهر قبل الحرب بجهوده المسرحية في أعظم مسارح فينا وبرلين، ثم استقر في برلين بعد ذلك، وهنالك تبوأ ذروة الفن، وأضحى مرجع المسرح في ألمانيا وكوكبه الساطع؛ ولكن حكومة هتلر جاءت منذ ثلاثة أعوام لتسحق العلوم والفنون والآداب في ألمانيا بكل ما وسعت من شهوات التعصب الجنسي والسياسي، فلم يطق الفنان العظيم - وهو يهودى غير مرغوب فيه - أن يعيش في هذا الجو الكدر، فغادر ألمانيا حيث سطع مجده، ليعمل حيثما تزدهر الأفكار والحريات الفنية؛ وطاف بفينا وباريس ولندن وغيرها، ومن منذ شهر بمدينة سالزبورج مسقط رأسه، فلقى فيها أعظم مظاهر الحفاوة والتكريم، وأطلقت البلدية اسمه على شارع من أشهر شوارعها

وفى «حلم ليلة صيف» تتجلى عبقرية شكسبير الرائعة في مزج البكى بالضحك، وإبراز المفاجآت والمدهشات في ثوب يأخذ باللب، ويذكى العواطف إلى الذروة؛ ومع أن القطعة كانت في بعض تفاصيلها مسهبة، فان الموسيقى الرائعة التي اقترنت بمناظرها، وهي من مقاطيع مندلزون وفاجنر، كانت ترفع بجمالها وسحرها كل ميل إلى السأم

والمفهوم أن ماكس رينهارت سيمضى في إخراج قطع أخرى من مسرحيات شكسبير؛ وربما رأينا قريبا هملت أو مكبث، أو تاجر البندقية أو يوليوس قيصر أو غيرها من آثاره الخالدة على مسرح السينما بفضل عبقرية ماكس رينهارت

بيير دى نولهاك

في الأنباء البرقية الأخيرة أن الكاتب والمؤرخ الفرنسي الكبير بيير دى نولهاك قد توفى في السادسة والسبعين من عمره.

وكان دى نولهاك عضوا بارزا من أعضاء تلك المدرسة التاريخية الباهرة التي استطاعت أن تجمع بين التحقيق التاريخي والعرض الساحر، والتي تزعمها كتاب ومؤرخون يمتازون بالقوة والطرافة مثل فرانز فونك برنتانو، ولينوتر، ودى نولهاك، وقد كان لهذه

المدرسة أكبر الفضل فى الكشف عن طائفة من الوثائق والمخطوطات الشهيرة ، ودرس دى نولهاك الفلسفة والأدب القديم ، وتفقه فى الدراسات اليونانية واللاتينية ، وعنى منذ فتوته بالتنقيب فى أقبية المكاتب العامة ؛ ودرس مدى حين فى مدرسة الآثار الفرنسية برومة ، وعثر فى مكتبة الفاتيكان على طائفة من الوثائق التاريخية النفيسة ، ونشر عن مباحثه عدة مؤلفات منها « مكتبة زعيم انسانى فى القرن السادس عشر » و « ثبت المخطوطات اليونانية لجان لسكاريس » و « مباحث عن رفيق بومبونيوس لاكثوس » وغيرها ، ووقع دى نولهاك أثناء هذه الفترة على نسخة خطية من كتاب « كانزونير » للشاعر الأشهر بترارك وبخطه أيضاً ، وقدمها لأكاديمية الآثار ، فكانت نقطة باهرة ؛ وأثار هذا الاكتشاف اهتمام دى نولهاك بدراسة بترارك ، فقدم عنه رسالته الشهيرة عنوان « بترارك والانسانية » فى سنة ١٨٩٢

والتحق دى نولهاك منذ سنة ١٨٨٦ بوظيفة فى المكتبة الأهلية ، وانتدب للتدريس فى نفس الوقت بمدرسة الدراسات العليا ؛ ثم عين بعد ذلك مديراً لها واستمر فى هذا المذهب حتى سنة ١٩٠٠ ، وعين أيضاً أميناً لمتحف فرساى واستمر فى هذا المنصب حقبة طويلة ؛ وفى أقبية المكتبة والمتحف بدأت مباحث دى نولهاك المؤرخ ، وهى مباحث دلت فيما بعد على أنه فى هذا الميدان عبقرية بارزة ، ووقع فى الأقبية على طائفة من الوثائق والمخطوطات التاريخية النادرة ، واستطاع أن يستخرج منها مادة بديعة لكتبه ، وأشهر مؤلفات دى نولهاك التاريخية : « فرساى فى القرن الثامن عشر » و « الملكة مارى انتوانيت » و « لويس الخامس عشر ومدام دى بومبادور » وغيرها ، وفيها تبدو عبقرية نولهاك كمؤرخ وكاتب ، ذلك أن حقائق التاريخ تعرض فيها فى أثواب ساحرة كأنها الخيال المرسل ، وتسطع فيها الصور حتى يخيل اليك أنها حية تغدو وتروح وكأنك تعيش معها وفى عصرها

وكتب دى نولهاك عدة كتب أخرى ارتفعت باسمه إلى مصاف أقطاب النقد والتفكير الفلسفى منها : « رونسار والانسانية » ، ومنها « قصائد ايطاليا وفرنسا » . وانتخب نولهاك عضواً بالأكادمية الفرنسية وانتظم فى سلك الخالدين قبل وفاته بأعوام طويلة

كتاب عن ذكرى ابن ميمون

احتفلت الطوائف اليهودية فى مصر وفى سائر أنحاء العالم ، وكذلك احتفلت معظم الهيئات العلمية فى مختلف الأقطار بذكرى العلامة والفيلسوف والطبيب اليهودى العربى الأندلسى موسى ابن ميمون ، وكان الاحتفال فى ابريل من العام الماضى ، وذلك لمناسبة انقضاء ثمانمائة عام كاملة على مولد الطبيب الأشهر ؛ ولابن ميمون فى مصر ذكريات خاصة ، فقد كتب فيها معظم مؤلفاته ، وتوفى فيها ، وكان كبير الربانيين بالقاهرة ، وكان طبيباً للسلطان صلاح الدين الأيوبى ؛ وكان مولد ابن ميمون فى قرطبة فى ٣٠ مارس سنة ١١٣٥ م ، فى عهد المرابطين ، ثم نزح مع أسرته إلى المغرب فالقاهرة حيث اتصل بالسلطان صلاح الدين وعينه طبيبه الخاص . وعكف ابن ميمون على دراسة التلمود وكل ما يتعلق بالعقائد والفلسفة اليهودية ، وألف فيها بالعربية ، ولكن بحروف عبرية ، طائفة من الكتب الفلسفية والدينية ما زالت تتبوأ المقام الأول بين تراث اليهودية

وقد عنيت الحاخامية اليهودية بالأسكندرية باصدار مجلد ضخم عن هذا العيد الملى بالفرنسية بعنوان : « الذكرى المئوية الثامنة لابن ميمون » وضمنته ترجمة وافية للطبيب الفيلسوف ، وشرحاً قيماً لأهم نظرياته ونصوصه ، وشذوراً من مصنفاته بالعربية والعبرية والفرنسية والايطالية ، وأشرف على وضعه وإخراجه الأستاذ دانيد براتو حاخام الطائفة اليهودية بالاسكندرية ، ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن لابن ميمون بين مفكرى اليهود وفلاسفتهم المقام الأول ، حتى لقد اعتبره بعضهم الرجل الثانى فى اليهودية بعد موسى . ولابن ميمون نظريات فلسفية ودينية عويصة ، وله شرح نفيس للتلمود ما زال هو الحجة فى موضوعه

القصة فى التعليم

فى وزارة المعارف اليوم حركة تجديد تسير إلى غايتها بنشاط وقوة ، نؤمل من ورائها انقلابا فى وسائلنا التعليمية يدنينا من الهدف الذى نقصد اليه من تعليم أبنائنا

وقد كان آخر هذه المحاولات ، هذا المشروع الذى أشارت اليه الصحف فى الأسبوع الماضى ، بأن الوزارة تفكر فى تدريس كثير من المواد بالمدارس الابتدائية عن طريق القصة . وهو

مشروع جدير بأن يثمر ثمرة طيبة لو حسُنتْ القوامة عليه ؛ فما نعرف شيئاً يروق الصغار ويجذب انتباههم مثل القصة ، وما نعرف باباً من أبواب الأدب يتسع لكل شيء كما تتسع القصة ، فالقصة عند الطفل لون من ألوان اللعب يقبل عليه بشوق ولذة ، ولكنه عند أهل التربية فن من فنونهم يبلغون به ما لا يبلغون بسواه من أساليب العلم

وإذا كان لنا أن نغتبط بهذا المشروع ، فاننا نخشى أن تؤدى طريقة تنفيذه إلى ما لا نرجو من جدْواه ، فان القصة فنٌّ واستعداد لا يتوفران لكل شخص ، ولا يحسنهما إلا الموهوب ؛ فلو أن وزارة المعارف وكلت أمر إنشاء هذه القصص إلى غير القادرين عليه لقضت على الفكرة بالموت قبل أن تظهر لها ثمرة ؛ وفى وزارة المعارف رجال درسوا القصة وعالجوها فنجحوا فيما عالجوا إلى حد كبير ، وإن لم يكونوا من رجال التعليم . وفى مختلف مدارس الوزارة مدرسون حاولوا القصة ووُفِّقوا فى كثير مما حاولوا ، فلعل الوزارة تنتفع برأى هؤلاء وهؤلاء

الاسلام فى اليابان

كتبت مجلة (آسيا) فى عددها الأخير أنه لن تنقضى أعوام حتى تصبح اليابان كلها اسلامية

وقد أشارت المجلة إلى الدعاية الاسلامية القائمة بين الشعب اليابانى وقالت إن ٣٢ ألفاً من اليابانيين اعتنقوا الديانة الاسلامية منذ ثلاثة أعوام ، وإن الاقبال على الاسلام لا يزال مستمراً

وقد تم انشاء مسجد (باب الله) فى الأسبوع الماضى واحتفل اليابانيون بافتتاحه احتفالاً عظيما

ويتألف هذا المسجد من ثلاثة طوابق ، ويمتاز بمآذنه الشائقة المزدانة بأجمل النقوش كما يمتاز بأبهائه وحدائقه والنقوش العربية التى تزين جدرانه

وقد رأس حفلة الافتتاح ميان عبد العزيز ، وكان يرتدى العباءة والكوفية والعقال ؛ وقد ألقى خطاباً شكر فيه لجنة المسجد ثم قال :

« إنه ليسرنى أن أرأس هذه الحفلة فى اليابان أمبراطورية الشرق الكبرى ، وأعتقد أن « باب الله » سيجد كثيراً من اليابانيين الذين يرغبون فى دخوله . . »

وبعد أن أشار الخطيب إلى موقف الحكومة اليابانية من الديانة الاسلامية وتنشيط القائمين بالدعوة اليها شرح للحاضرين التعاليم الاسلامية ومبادىء المسلمين السامية وقال :

« إن الديانة الاسلامية التى أجمع العالم على أنها أفضل الديانات لا بد أن تنتشر فى جميع أنحاء العالم وخاصة فى اليابان ، ولا بد أن تجد من الأنصار ما يجعلها سيدة العالم »

وأشار الخطيب إلى اعجاب العرب المسلمين بالشعب اليابانى ، وقال إن اليابان تسير فى طريق الأمبراطورية الاسيوية الكبرى ، وإن الاسلام سيكون فى أول هذا الطريق

من أعاجيب الراديو

أضحى « الراديو » أعجوبة الأعاجيب فى عصرنا ، يستعمل فى كل ما لا يمكن أن يخطر فى البال من عظائم الأمور وصغائرها ؛ وسنرى فى الأعوام القادمة إلى أى حد يمكن أن تقف أعاجيب هذا الاختراع المدهش ؛ ومما قرأناه أخيراً فى صحف فيينا أن الراديو كان وسيلة مدهشة لنجاة مريض من تناول دواء خاطىء ؛ فقد وفد مريض على صيدلى وقدم إليه تذكرة دوائه ليعدها ، ثم أخذ المريض الدواء وانصرف ، وبعد قليل تذكر الصيدلى أنه ارتكب فى صنع الدواء خطأ قد يودى بحياة المريض ، ولم يكن يعرف عن المريض أو اسمه أو طبيبه شيئاً ؛ فهرع إلى شركة للاذاعة اللاسلكية ، وفى الحال أذاعت الشركة خلال برنامجها نبأ هذا الخطأ فى جميع أرجاء النمسا ؛ ووقف الطبيب المعالج مصادفة على هذا النبأ حين كان يستمع إلى الاذاعة ، فهرول إلى المريض فى منزله ولحق به قبل أن يتناول الدواء القاتل

الكتب

« محمـــــد »

كتاب توفيق الحكيم

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

عملُ الأستاذ توفيق الحكيم فى تصنيف هذا الكتاب أشبهُ شيء بعمل « كريستوف كولمب » فى الكشف عن أمريكا وإظهارها من الدنيا للدنيا ؛ لم يخلق وجودها ولكنه أوجدها فى التاريخ البشرى ، وذهب اليها فقيل جاء بها إلى العالم ، وكانت معجزته أنه رآها بالدين التى فى عقله ، ثم وضع بينه وبينها الصبرَ والمثابرةَ والحذق والعلم حتى انتهى اليها حقيقة ماثلة

قرأ الأستاذ كتب السيرة وما تناولها من كتب التاريخ والطبقات والحديث والشمائل ، بقريحة غير قريحة المؤرخ ، وفكرة غير فكرة الفقيه ، وطريقة غير طريقة المحدِّث ، وخيال غير خيال القاصّ ، وعقل غير عقل الزندقة ، وطبيعة غير طبيعة الرأى ، وقصد غير قصد الجدَل ؛ فخلص له الفن الجميل الذى فيها إذ قرأها بقريحته الفنية المشبوبة ، وأمرَّها على إحساسه الشاعر المتوثب ، واستلَّها من التاريخ بهذه القريحة وهذا الاحساس كما هى فى طبيعتها السامية متجهةً إلى غرضها الالـهى محققةً عجائبها الروحانية المعجزة

وقد أمدته السيرة بكل ما أراد ، وتطاوعت له على ما اشتهى ، ولانت فى يده كما يلين الذهب فى يد صائغه ؛ فجاء بها من جوهرها وطبيعتها ليس له فيها خيال ولا رأى ولا تعبير ، وجاءت مع ذلك فى تصنيفه حافلة بأبدع الخيال ، وأسمى الرأى ، وأبلغ العبارة ؛ إذ أدرك بنظرته الفنية تلك الأحوال النفسية البليغة ، فنظمها على قانونها فى الحياة ، وجمع حوادثها المدوّنة فصوَّرها فى هيئة وقوعها كما وقعت ، واستخرج القصص المرسَلَة فأدارها حواراً كما جاءت فى ألسنة أهلها ؛ وبهذه الطريقة أعاد التاريخ حياً يتكلم وفيه الفكرة وملائكتُها وشياطينُها ، وكشف ذلك الجمال الروحانى فكان هو الفن ، وجلا تلك النفوس العالية فكانت هى الفلسفة ، وأبقى على تلك البلاغة فكانت هى البيان . كانت السيرة كاللؤلؤة فى الصدفة ، فاستخرجها فجلاها اللؤلؤة وحدها

***

إن هذا الكتاب يفرض نفسه بهذه الطريقة الفنية البديعة ، فليس يمكن أن يقال إنه لا ضرورة لوجوده ، إذ هو الضرورىّ من السيرة فى زمننا هذا ، ولا يُغتَمَزُ فيه أنه تخريف وتزوير وتلفيق ، إذ ليس فيه حرف من ذلك ؛ ولا يردُّ بأنه آراء يخطىءُ المخطىءُ منها ويصيب المصيب ، إذ هو على نص التاريخ كما حفظته الأسانيد ؛ ولا يُرمى بالغثاثة والركاكة وضعف النسق ، إذ هو فصاحة العرب الفصحاء الخُلَّص كما رُويت بألفاظها ؛ فقد حصنه المؤلف تحصيناً لا يُقتحم ، وكان فى عمله مخلصاً أتم الاخلاص ، أميناً بأوفى الأمانة ، دقيقاً كل الدقة ، حَذِرا بغاية الحذر

ومن فوائد هذه الطريقة أنها هيأت السيرة للترجمة إلى اللغات الأخرى فى شكل من أحسن أشكالها برغم هذا الزمن على أن يقرأ بالاعجاب تلك الحكاية المنفردة فى التاريخ الانسانى ؛ كما أنها قرّبت وسهلت لجعلت السيرة فى نصها العربى كتاباً مدرسياً بليغاً بلاغة القلب واللسان ، مربياً للروح ، مرهفاً للذوق ، مصححاً للملكة البيانية

وحسبُ المؤلف أن يقال بعد اليوم فى تاريخ الأدب العربى : إن ابن هشام كان أول من هذّب السيرة تهذيباً تاريخياً على نظم التاريخ ، وأن توفيق الحكيم كان أول من هذبها تهذيباً فنيا على نسق الفن

مصطفى صادق الرافعي

١ – علم تكوين الجنين (طبع دمشق)

للدكتور شوكت موفق الشطى

٢ – دليل الحج والسياحة (طبع الرباط)

للأستاذ أحمد الهوارى

للأستاذ محمد بك كرد على

– ١ –

أصدر الدكتور الشطى فى دمشق الجزء الأول من هذا الكتاب ، وهو « يبحث فى التناسل والجهاز التناسلى فى الذكور والأناث ، والالقاح والذكورة والانوثة والوراثة » ، وقد تقدم للمؤلف أن نشر كثيراً من الأبحاث الطبية فى كتب ورسائل ومقالات . والذى يعنينا هنا أن نقوله إن هذا الكتاب وبعض الكتب الطبية والعلمية التى ظهرت فى العهد الحديث فى جمهورية سورية تدل على اضطلاع المؤلفين الجدد بعلمهم ، مضافاً اليه تمكنهم من العربية . وقد رأينا مصنف هذا الكتاب المفيد يضع ألفاظاً لبعض الكلمات الطبية والعلمية ، هذا إلى ما فى مجموع كلامه من الرشاقة والجزالة . أما البحث فى موضوع الكتاب ودرجته من العلم فهو من شأن الأطباء

– ٢ –

جاءت رحلة الأستاذ الهوارى الفاسى من المغرب الأقصى إلى الديار الحجازية المباركة فى ٣١٠ صفحات محلاة بالرسوم البديعة . وقد قال فى وصف كاتبها الأستاذ السيد عبد الحى الكتانى عالم فاس إنه رحل « ونقب ، وسأل وكتب ، وجمع وحطب ، وإن كانت وجهة قلمه غلبت عليها نشوة الوظيف والاهتبال بالموظفين ، والادارات والمديرين ، ولكن إذا عُلم أنه يكتب لأبناء هذا العصر زال العجب » . ووصفه بأنه « صاحب القلمين واللسانين » ، يعنى العربية والفرنسية . وقد أورد الأستاذ الكتانى ثبتاً بديعاً بأسماء من رحلوا من القديم إلى اليوم ، إلى الحجاز من بلاد المغرب والأندلس ، ودل على أماكنها ، ومنها المخطوط المحفوظ فى الخزانة الكتانية بفاس . ولاحظنا أن المؤلف عنى عناية خاصة بذكر أصحاب القبور أكثر من التنويه بأعمال الاحياء فى مصر والشام . والقبوريون يظفرون متى شاءوا بما يحبون من الزيارات فى كل بلد من بلاد الاسلام ، ولكن ما يحفظ على هذه الأمة دينها ودنياها هو اليوم الاستمداد من الأحياء ، ولذا كان على المؤلف أن ينوه بما يجب أن يقتبسه بنو قومه من جلائل أعمال الحياة فى البلاد التى زارها . وقد قدم صاحب الجلالة سيدى محمد سلطان المغرب الأقصى تقريظاً للكتاب على سبيل التنشيط . وعبارة المؤلف تدل على أنه عانى صناعة الكتابة فى بلاده ، بيد أنه جرى فى تدوين رحلته على ما يرضى العامة وأرباب السلطان ... ...

محمد كرد على